مقدمة

الرادرجي ..!. تسمية مبتسمة .. أطلقها زملاء السلاح .!. من قبيل الدعابة ... على مؤلف هذا الكتاب .

وهي كلمة مركبة على الطريقة التركية . مكونة من (رادار + جي) . بمعني اسم الفاعل في اللغة التركية .

لماذا .. النوتة .؟.

في بداية خدمتي بالقوات المسلحة .. كنت ضابط رادار في احد كتائب الدفاع الجوي .. وكانت الكتيبة تضم طاقم من الخبراء السوفييت و طاقم مصري .

وكنا قد تلقينا منهجا مختصرا في اللغة الروسية .. وكان يقتصر على الاصطلاحات الفنية و العسكرية .. و بمرور الوقت .. اكتشفت إني احتاج إلى معرفة المزيد من اللغة الروسية .. للتعامل اليومي مع الخبراء السوفييت .

فكنت احتفظ في جيبي .. بنوتة .. أدون فيها الكلمات التي التقطها من الخبراء السوفييت .. لزيادة حصيلتي من اللغة الروسية ..

ثم اكتشفت أيضا أن السائقين و ميكانيكية الديازل (مولدات القوى الكهربائية). لهم لغتهم و مصطلحاتهم الخاصة .. والتي تختلف عن المصطلحات الهندسية التي تعلمتها في كلية الهندسة . فقررت إضافتها إلى النوتة للاحتفاظ بها .. وبعد انتهاء فترة خدمتي العســـكرية .. أثمرت فكرة

هذه النوتة .. عن كتاب (معجـــــم فرج للعامية المصرية و التعبيرات الشعبية) . وقد صدرت منه طبعتان في ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦ . ونفذت الطبعتان .

وما زلت حتى يومنا هذا .. احتفظ في جيبي .. بنوتة .. من باب التفاؤل .. أسجل فيها برنامج عملي لليوم .. وأيضا الخواطر و الأفكار التي تطرأ على ذهني .

واعتقد انه من حق كل مواطن .. أن يكون له نوتته الخاصة ..!.

****

الزمان .. سبتمبر ١٩٧٠.. و المكان .. صحراء إسنا .. كلية ضباط الاحتياط .. الدفعة ٢٨ .

حكاية جيل .. بدايات الشعور بالانتماء إلى القوات المسلحة ..

حكاية للأجيال الجديدة .. طويلة حبتين .. لكن مسلية ..!.

(بصراحة .. وصدق مع النفس .. لم أكن مرتاحا ..(أنا و أغلب جيلي) .. للالتحاق بالخدمة العسكرية .. كنا قد امتلأنا بالمرارة .. من الحكايات التي نسمعها من زملائنا .. عن الهزيمة الساحقة .. في حرب ٦٧ .. والتي سميت بالنكسة ..

وكيف أن جيراننا و أشقاء زملائنا .. عادوا مهلهلين .. من سيناء بعد الانسحاب .. وبعضهم .. كان لا زال مفقودا ..

ولكن ما باليد حيلة .. تقدمنا لأداء الخدمة العسكرية .. بعد التخرج .. واجتزنا الاختبارات اللازمة .. وسافرنا بالقطار .. في رحلة طويلة إلى إسنا ..

وكانت كلية ضباط الاحتياط .. قد نقلت من التل الكبير إلى صحراء إسنا .. في مجموعة من القرى الريفية .. تتبع الإصلاح الزراعي .. ولم يتم توزيعها على الأهالي .

كانت كل قرية .. تعتبر كتيبة .. والكتيبة تتكون من عدة سرايا .. والسرية .. ٢٤ فردا .. والقرية لها قائد .. كان اسمه المقدم حجاب .. وكل سرية .. لها قائد معلم من الضباط .. وصف ضابط متطوع معلم .

تم تجميعنا علي مجموعات.. وكل ستة يقيمون في منزل ريفي .. من حجرتين ..

جمعنا قائد الكتيبة .. المقدم حجاب .. وقال .. غدا .. سوف تأخذون التطعيمات اللازمة .. وتحلقون شعوركم .. وتتسلمون البدل العســـــكرية .. الصـــيفي و الشتوي .. وبعد غد .. تؤخذ لكم الصور التي سوف توضع في ملفاتكم .. وبعدها مباشـــــرة .. تبدأ الطوابير .. و المحاضرات ..

جلسنا في أول الليل نتعارف .. شباب من حملة المؤهلات العالية .. من مختلف بلاد مصر .. ونحن نتداول فيما بيننا .. هل معقول .. أن تعطي حقن التطعيمات .. وتقص شعر أكثر من إلفين طـــلب احتياط .. وتصرف لهم البـــدل الصيفي و الشتوي .. وتأخذ لهم صور .. في يومين ..!؟.

لا .. هذه المسألة .. تحتاج .. عشرة أيام .. أو أسبوع على الأقل .. !.

في اليوم التالي .. ذهبنا في طـــــابور .. لأخذ التطعيمات .. حقنة .. ١٠ سم .. (لها رقم قد نسيته .!.).. تشبه شوربة العدس .!. يمكن أن تقضي على أي ميكروبات .. داخل جسم الإنسان .. وتتعداها إلى القضاء على الإنسان نفسه ..

تسلمنا مجموعة من إفراد السرية الطبية .. وللعجب .!. تم تطعيمنا في دقائق .. ثم سرنا في طابور إلى مكان مجاور .. وضعت فيه .. مجموعة من الدكك الخشبية .. ويجلس على كل دكة .. أربعة .. ثم ينقض عليهم .. مجموعة من الحلاقين .. فيجتثون شعر رؤوسهم .. في ثواني .!. لتلمع رؤوسهم .. وتتألق تحت الشمس .!. ولم يستغرق حلاقة الشعر للسرية .. إلا دقائق ..!.

ثم اقتادونا الى ساحة واسعة .. بها بعض الخيام ممتلئة بالبدلات العسكرية .. وأمامها .. عدد من ماكينات الخياطة .. يجلس عليها بعض الترزية .. ومعهم بعض الترزية .. وأمامهم أكوام من البذلات العسكرية ..

يقف ثمانية طلبة في صف .. فيهجم عليهم مجموعة الترزية .!. يختار لكل واحد بدلة من المقاس الذي يناسبه .. وعليه تجربته .. وارتداؤه .. والبعض كانت الملابس مطابقة لهم .. والبعض .. كانت الملابس تحتاج إلى بعض القيافة .. مثل تقصير الكم .. أو تقصير رجل البنطلون .. كان العريف الترزي .. يضع عليها علامات بالطباشير .. ويسلمها إلى آخر .. يجلس على ماكينة الخياطة .. أصحاب البدل المطابقة للقيافة .. خرجو من الصف .. ودخل غيرهم .. وعملية التقييف .. وضبط البدل .. لم تستغرق .. سوى دقائق ..

عدنا إلى قرية الإعاشة .. ونحن في غاية السعادة بالبدل العسكرية .!. ولكننا تنكدنا .. عندما رأينا رؤوسنا الحليقة .. وهي تلمع .. لم نراها في الصحراء .. لم يكن هناك آي مرآة .. وكان كل واحد ..يضحك على زملاؤه .. بعد أن حلقوا شعورهم .!.

في المساء أخذنا نتداول الأمر .. هل معقول .. أن يحدث كل هذا .. في يوم واحد .!؟. اجمعنا على أن تصويرنا .. سوف يستغرق بضعة أيام .. وكان كل واحد يتأمل البدلة الجديدة ..و يتخيل وضعه عند التصوير ببدلة الكلية .. هل يرفع ذقنه إلى الأعلى قليلا .. أم يجعل رأسه مستقيمة .؟. وهل يميل إلى الجانب .. لكي يظهر بادج الكلية على الكتف ..!؟. وهل يجعل الكاب مائلا قليلا .. لزوم (العياقة) .. وإلى أي جانب سوف يميل الكاب ..!؟.

ذهبنا للتصوير في اليوم التالي .. فوجدنا مدرج من ثلاثة ادوار .. وضابط قائم بالتصوير .. أمامه كاميرا (روليفلكس) علـى (تراي بود) مضبوطة .. لتصوير المدرج ..

وتسلمنا مجموعة من الجنود المدربين ..وشكلوا مننا طابورا .. متدرجا في الطول .. من ثلاثة صفوف .. قال لنا قائد السرية .. سوف يكون هذا هو ترتيبكم في الطوابير .. حتى نهاية الدورة التدريبية .. وكل واحد .. يحفظ ..الذي أمامه .. أو خلفه أو على يمينه أو يساره ..

(وقد اختل هذا الطابور بعد شهر ونصف .. وذلك بعد أن تم سحب مهندسوا الالكترونيات من الكلية .. لتشكيل أول كتائب البتشورا ..!!.) .

قام الجنود .. مساعدو الضابط المصور .. بإجلاسنا حسب الترتيب .. على هذا المدرج .. وقاموا بأخذ أسمائنا حسب ترتيب الجلوس .. وراحوا يرفعون ذقن هذا .. ويعدلون وضع ذاك .. ويضبطون الكاب لآخر ..

صاح الضابط المصور .. انتبااااه .. وتم التقاط صورة مجمعة لكل السرية .. هكذا .. وتم كل ذلك خلال أقل من ثلاثة دقائق ..!. وسوف يتم بعد ذلك قص كل صورة بمفردها ..!. وقلنا فيما بيننا ..سوف يحدث اختلاط في الصور .. وربما نجد صورة زميلنا .. صميدة المتولي .. وعليها أسم .. اشرف الإسكندراني ..!. ولكن هذا لم يحدث ..!. وظل كل شيء يسير حسب النظام المفروض ..!.

عند الغروب .. جلسنا على الرمال في حلقة حول قائد السرية .. المقدم حجاب .. ونحن نسأله .. كيف حدث هذا .. ابتسم وقال .. لقد سبقكم في الحضور إلى إسنا .. قطار به مجموعة سرايا .. اسمها سرايا الخدمات .. وتضم ممرضين وحلاقين و ترزية .. وتم التخطيط و الإعداد .. لكل الإجراءات السابقة .. و بعد أن تنتهي السرايا من مهمتها .. سوف تذهب إلى المعهد الفني .. أو إلى مدرسة من مدارس الجيش ..

قال أحد الزملاء .. وهو يتحسس رأسه الحليقة بالزيرو ..!. يعني الحلاقين .. حا يرجعوا يا فندم ..؟. ، رد الرجل وهو يبتسم .. لأ ..فيه مجموعة .. حا تفضل هنا على طول ..!.

سأله أحد الزملاء .. إذا كان الجيش .. بمثل هذا النظام و التخطيط و الانضباط .. فلماذا انهزمنا .. في حرب ٦٧ ..

صمت القائد لفترة .. وأظنه كان يتوقع مثل هذا السؤال .. ثم قال في هدوء .. ما حدث .. قد حدث .. وأنتهي .. و الجيش الآن لا يعمل بالسياسة .. وهو الآن تحت قيادة ..أبناؤه المخلصين .. وعليكم .. وعلينا .. أن نستـــــعيد الأرض و الكرامة .. لمصر .. ولزملائنا و إخوتكم الذين استشهدوا في سيناء .....

كان ذلك .. الوقت عند غروب شمس يوم ٦ أكتوبر .. ١٩٧٠ ..

ويا للعجب .. ويا لتدابير القدر .. ففي هذا التوقيت .. بعد ثلاث سنوات .. بالتمام و الكمال .. كان هؤلاء الضباط .. قد عبروا إلى سيناء .. في يوم الكرامة المصرية ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ....!.

****

الصورة للفريق اول محمد فوزي . القائد العام للقوات المسلحـة .

و الفريق عبد المنعم رياض . رئيس الأركان القوات المسلحة .

في عام ٦٩ .

حكاية جيل .. عودة الروح .. و عودة الوعي .. حكاية للأجيال الجديدة .. طويلة حبتين .. لكن مسلية ..!.
(الزمان .. اكتوبر ١٩٧٠.. و المكان .. صحراء إسنا .. كلية ضباط الاحتياط .. الدفعة ٢٨) .

بدأنا في الانتظام في الدراسة .. بكلية ضباط الاحتياط .. في الصباح طوابير .. لياقة و انضباط .. وفي المساء .. محاضرات في مختلف المواضيع العسكرية .. طبوغرافيا .. الغام .. قنابل يدوية .. امن .. وكان الدرس الأول

الذي تعلمناه .. هو .. روح الجماعة .. لان خطا الفرد في مجموعة قتالية .. قد يتسبب في هلاك المجموعة كلها .. بدأ عالم من السحر الخفي .. ينفتح أمامنا .. وكنا نقبل على الحاضرات بلهفة .. رغم الإجهاد الشديد من طوابير اللياقة و الانضباط .. ولم يكن مسموحا لنا بالنوم أو الإغفاء في وقت الظهيرة ..!. وفي احدي محاضرات الطبوغرافيا .. قررت أن أغفو قليلا ..!. فهذه المادة درستها أثناء دراستي بالكلية .. فانحنيت .. وتظاهرت باني أسجل المحاضرة .. في كشكول المحاضرات .!. ويبدو أن شخيرا عاليا ..!. قد صدر مني .. فقد ساد الصمت .. مكان المحاضرة .. ثم أفقت على (ركلة) .!. عنيفة من زميلي الذي يجلس خلفي .. (الله يستره) .!. ونظر إلي الضابط المحاضر .. ووجدت جميع السرية ينظرون نحوي ..قال الضابط .. أنا كنت باقول إيه .؟!. نظرت إلي السبورة و استنتجت الموضوع .. فبدأت أتكلم باللغة الانجليزية .!. حانعمل هنا كروس سكشن .. ونعمللله بروجكشن .. على الفرتيكال .... فصاح الطلبة معترضين .. يا افندم .. ده طلع هندسة ..!. فقال الضابط .. أنا عايز واحد آداب او تجارة هوه اللى يجاوب ..!. وخرجت من هذا الموقف بسلام .!. بدون طوابير زيادة .!. كانت الدفعة ٢٨ .. ضباط احتياط .. اكبر دفعة حتى تاريخها في القوات المسلحة .. وتم تجنيد اغلب الجامعيين .. المستحقين للخدمة العسكرية لهذا العام .. شباب من مختلف محافظات .. و جامعات وكليات مصر .. هندسة .. تجارة .. آداب .. حقوق .. تربية رياضية .. ولا يجمع بينهم .. سوى .. حب الوطن .. وقبل ذلك .. لم تكن القوات المسلحة ترحب كثيرا بالجامعيين ..!. بين صفوفها ..!. ولكن قادة القوات المسلحة في ذلك الوقت .. الفريق محمد فوزي .. و رئيس الأركان.. الفريق عبد المنعم رياض . رأوا ..

ضرورة الاستعانة بالجامعيين .. كضباط احتياط .. لضخ دماء جديدة في شرايين جيش مصر الجديد .. فهؤلاء .. يسهل تدريبهم .. وتأهيلهم .. كما قررت ضم عدد من الضباط العاملين .. كمعلمين .. ممن ابلوا البلاء الحسن في حرب ٦٧ .. رغم الهزيمة .. فهؤلاء الشباب الجامعيين .. يحتاجون إلى القدوة .. وسوف يلتمسونها في هؤلاء الضباط المعلمين .. وهؤلاء الضباط المعلمين .. في حاجة إلى الأمل .. وسوف يجدونه في هؤلاء الجامعيين .. وقد كان التفاعل بينهما رائعا .. فهؤلاء المتدربين .. سوف يعملون .. تحت قيادة هؤلاء الضباط .. وقد أثبتت الدفعات السـابقة (٢٦ و ٢٧) (تجنيد ٦٩) .. هذه النظرية .. لقد دارت العجلة في مصنع إعداد الرجال .. ولن تتوقف .. حتى النصر .

ثم حل احد الأيام المشهودة .. وهو تدريب اختراق الضاحية عدوا .. لمسافة ستة كيلومترات .. وهو تدريب مرهق و غير عادي .. للمدخنين .. (مثلي .!.) .. و أصحاب الأوزان الثقيلة .. وكان بيننا عدد منهم .. فالقوات المسلحة .. تحتاج إلى العقول .. كما تحتاج إلى السواعد .. وهؤلاء البعيدين عن اللياقة .. سوف يكتسبونها .. بعد ذلك .. نقلتنا سيارات على دفعات .. إلى مكان بدء التدريب .. وقال لنا الضباط المعلمون .. الزمن لا يهم كثيرا .. ولكن عليكم أتمامه .. بأي شكل ... وأخذت أنا ومجموعة من المدخنين الكسالى .!. نتداول .. ماذا نفعل .. في هذه الموقف .!. إن أقصى مسافة جريتها أثناء دراستي بالكلية .. لا تتجاوز .. عشرين مترا ..!. خلف الأوتوبيس وأعطى كبير الضباط .. إشارة البدء .. وكان معنا زميل نحيل وهادئ الطباع .. وخريج كلية التربية الرياضية .. ما أن سمع إشارة البدء .. حتى انطلق .. كأنه سهم ..

افلت من قوسه ..!. شعرنا بالخجل .. وانطلقنا خلفه .. ونحن نلهث أكملت التدريب في وقت مقبول .. كما أتمه الغالبية .. ولكن كان هناك عدد من الزملاء .. غير قادرين على الجري نهائيا .. وكان معنا زميل ضخم الجسم وثقيل الوزن .. من كلية العلوم .. كان يتهالك .. وهو يحاول أن يمشي .. صائحا .. آه يا ابويا .. آه يا ابويا وفي لحظة (((فارقة))) .. وبدون تخطيط مسبق .. رجع عدد من الذين أكملوا السباق .. نحو الزملاء المتخلفين .. وكان كل اثنان .. يحملان زميل من غير القادرين من تحت إبطه .. وذراعيه تلتف حول رقبتهما .. وهم يجرون بجواره .. و أقدامه لا تكاد تلامس الأرض .. ولم يعترض الضباط المعلمون.. على هذا الأجراء .. وأكمل (((الجمييييع))).. التدريب..!. لقد سـرت .. روح (((الفريـــــق))) .. في دمـــاء هؤلاء الضباط المتدربين .. وأصبحوا كتلة واحدة .. رغم التفاوت الجغرافي و التعليمي .. لقد استشهد الفريق عبد المنعم رياض .. فخر العسكرية المصرية .. وهو على خط القتال الأول .. يوم ٩ مارس .. ١٩٦٩ .. وكان هؤلاء الطلبة الاحتياط .. على مشارف البكالوريوس او الليسانس .. وقد أحسست أن روحه الطاهرة .. كانت تحوم .. و تبارك .. هؤلاء .. فكل هذا التخطيط .. كان من إبداعه .. وهذا الغرس المثمر .. من صنع يداه .. ان دفعة ٢٨ ضباط احتياط .. كانت العمود الفقري .. في بنيان .. جيش مصر الجديد .. التحية العسكرية .. لشهداء وقادة و زملاء القوات المسلحة ..

****

الضابط الرادرجي .. يتحايل على .. ضابط بقوات الأمم المتحدة .. ويقسم بشرفه العسكري ..؟؟.
لتأكيد حق القوات المسلحة .. في وجود .. محطة رادار .. في بور فؤاد .. بعد اتفاقية وقف إطلاق النار ..

(هذه الواقعة ارويها كما حدثت .. ولم أتدخل فيها بالزيادة أو الحذف .. لأني أريد أن القيها من على كاهلي .. بعد أن ظلت على عاتقي .. زمنا طويلا .... ولكنها جزء من تاريخ قوات الدفاع الجوي المصري .. ولا أتذكر تاريخ هذا اليوم .. ولكن اذكره بالتقريب).

(الزمان .. الأسبوع الأول من نوفمبر ٧٣.. والمكان يبدأ في الإسكندرية .. وينتهي في بورفؤاد) .. (والصورة .. موقع محطة الرادار ..

الذي كنت أقوده أثناء حرب أكتوبر ٧٣ .. في بور فؤاد .. الدائرة العليا الحمراء .. والدائرة السفلى الحمراء .. مكان مقابلتي لضابط الأمم المتحدة) .

((القرطسة)) .!. ليست من الأوامر العسكرية .. فالأوامر العسكرية تكون مثل .. أهجم .. تقـــدم .. تمسك بموقعك .. حتى آخر طلقة .. وآخر رجل .. ولكن أن تتلقى أمرا بقرطسة .!. من أمامك .. ويكـون الذي أمامك .. ضابط بقوات حفظ السلام التابعة للأمـــم المتحدة .. فهو أمر بالغ الغرابة ..!!. ولكنني تلقيت هذا الأمر .. ونفذته .. وقرطست ضابط الأمم المتحدة ..!. واليكم تفاصيل هذه الواقعة ..

في الأسبوع الأخير من أكتوبر ٧٣ .. تم إصلاح كتيبتي .. ٦٥٢ .. وتزويدها بهوائيات جديدة .. وتسلمت محطة رادار جديدة .. وتم دفع الكتيبة إلى الإسكندرية.. وتلقينا أوامر بالدفاع عن ميناء الإسكندرية .. وكان في ذلك الوقت هو الميناء الوحيد الذي يعمل في مصر .. ليستقبل القمح الوارد من الخارج .. وقال لنا قائد التشكيل .. أن الحرب مع إسرائيل .. ربما تتخذ أبعاد أخرى .. وان مخزون القمح في مصر .. يكفي لمدة أسبوع .. وأن العمل يجري .. على رفع هذا المخزون إلى أحدى عشر يوما .. ولو قامت إسرائيل بإغراق أي سفينة في الميناء الغربية .. فإن إعادة الميناء إلى العمل .. قد تستغرق .. ثلاثة أسابيع .. ولذلك .. فإن الأوامر صريحة وقاطعة .. بتدمير أي هدف يظهر .. في مجال عمل الكتيبة .. فورا .. و بدون الرجوع لأي تعليمات من القيادة .. أمضينا عدة أيام نعمل في حالة تأهب بدون انقطاع .. وفي منتصف الليل في احد الأيام .. وكنت مجهدا ومصابا بنزلة برد شديدة .. وأتمنى أن احصل على قسط بسيط من النوم .. ولو لعدة ساعات .. طلب مني

قائد الكتيبة .. الحضور فورا لدشمة القيادة .. فذهبت .. وجدته يقف أمام الدشمة .. وبجواره سيارة نقل ثقيل ..

قال .. مطلوب تسافر حالا إلي بورفؤاد .. علشان تسجل المحطة بتاعتك هناك ..

قلت له .. يعني إيه أسجلها يا أفندم .. ولماذا لا يسجلها احد الضباط من قيادة اللواء ٩٨ .. أو من فرع رادار الإنذار في الدفاع الجوي ..

قال .. القيادة .. طلبتك بالأسم ..

قلت يا أفندم أنا تعبان .. و سيادتك عارف إني منتظر اعمل عملية .. علشان الجرح المتلوث اللي في ضهري .. ومين اللي حيمسك المحطة .. مكاني .؟.

قال .. رئيس العمليات .. سوف يحل مكانك .. حتى ترجع لنا بالسلامة .. أتفضل نفذ الأمر ياحضرة الضابط .. والعربية أهيه قدامك .. وحا تاخد تلقين في الموقع .. عن المطلوب منك .. صعدت إلى عربة النقل الثقيل .. وأنا لا اعلم المطلوب مني بالضبط .. وأعاني من أنفلونزا شديدة .. ومن جرح .. في ظهري .. قد تلوث وامتلأ بالصديد .. وكنت أتناول مضاد حيوي .. وأنتظر لكي اعمل له عملية تنظيف .. وإعادة خياطة .. وراحت السيارة تسرع .. في طريقها من الإسكندرية إلى بور فؤاد .. لقد قمت بهذه الرحلة من قبل .. ولكن بالعكس .. من بورفؤاد إلى الإسكندرية والعكس .. وكانت عقوبة تكدير .. لأني قمت بإصلاح عطل مستعصي .. بدون أخذ رأي كبير المهندسين .!. وانطلقت السيارة .. وأنا بين الإغفاءة و الإفاقة .. حتى وصلنا إلى منفذ الجميل في بور سعيد .. في صباح اليوم الثاني .... وهناك وجدت سيارة جيب بها رائد في

انتظاري .. وما أن تعرف على شخصيتي .. حتى قال .. أتأخرت ليه يا حضرة الظابط .. ولم ادري ماذا أقول له .. قال .. تعالى بعربيتك .. خليك ورايا .. وصلنا إلى المعدية .. ثم إلى موقع كتيبتي القديم في لسان بورفؤاد .. نزلت فوجدت دشمة محطتي القديمة .. مركب عليها ماكيت رديء الصنع لهوائي الرادار .. وينقصه (الفيد هورن) وهو مائل على جانبه .. ومربوط بحبل .. ولا يمكن أن يخدع أحدا .. بأنه هوائي حقيقي ..!.

ووجدت في انتظاري .. ضابط زميل يعرج ولم أكن اعرفه .. وكان مصابا في وجهه .. ويبدو عليه انه مصاب بهزة نفسية شديدة .. وما أن رآني .. حتى صاح في وجهي بلهجة أبناء بورسعيد .. آني ماليش دعوة .. أنت اللي حا تتكلم .. آني مسئول بس عن حراسة الموقع .. آني محطتي .. أنضربت جنب السويس .. آني هنا بمبوطي .. وأنت اللي حا تتكلم .. وقفت في مدخل الطريق المؤدي إلى الموقع (الدائرة الحمراء في الأسفل على الخريطة) .. و أخذت أحاول أن استوعب الموقف .. وما الذي يحدث هنا .. وفي هذه اللحظة .. دخلت الموقع سيارة جيب .. عليها صاري يرفرف عليه العلم الأزرق الخاص بقوات الأمم المتحدة .. ونزل منها ضابط في أواخر الثلاثينات .. لم أتأكد من رتبته .. وعريف سائق .. في أوائل العشرينات .. (عرفت بعد ذلك أنهم من فنلندا) . وكان العريف السائق يحمل معه دوسيه وبلانشيطه لها غلاف من الجلد .. كانوا يرتدون البيريهات الزرقاء .. و قمصان بنصف كم .. في عز برد نوفمبر .. و الاثنان في منتهى الصحة و اللياقة و القيافة التامة .!.. وملابسهم العسكرية .. في منتهي الفخامة .. وتبدو كأنها .. سينيه .!. من عند بيير كاردان .. أو جيفنشي .!. بينما كنت ارتجف من المـــــرض و الأنفلونزا .. وأنا بداخل معطفي الميري .. المتواضع .. من صوف العسكري ..!.

قام الرائد .. ضابط الاتصال المصري .. بتقديمي إلى ضابط الأمم المتحدة .. وتبادلنا التحية العسكرية .. ومال علي هامسا .. لازم ((تقرطسه)) .!. ومش لازم يدخل الدشمة بتاعت محطتك .. بأي شكل .. صحت فيه بعصبية .. يعني أيه ((تقرطسه)) .!. يا سيادة الرائد .؟.

تركني و أستقل سيارته ومضي .. ولم أراه ثانية ..

قال ضابط الموقـــــع .. آني ماليش دعوه .. آني بمبوطي ..!. انت اللي حا تتكلم ..!.

في ذلك الوقت .. بعد قرار وقف إطلاق النار بين مصر و إسرائيل .. جرت محادثات بين مصر و إسرائيل .. وتحت إشـــــراف الأمم المتحـدة .. سميت (مباحثات الكيلو ١٠١) .. وكان جانب منها ينص على تثبيت أوضاع القوات المتحاربة في الدولتين .. وكانت دشمة محطتي السابقة خالية .. وقد فقدت قوات الدفاع الجوي .. عددا محطات الرادار .. واستشهد عدد من ضباط الرادار .. وكان هذا الموقع مثاليا للتغطية الرادارية .. لشمال الجبهة .. وكان يجري تجهيز محطة رادار تحت الإصلاح لدفعها إلى هذا الموقع .. لكن الوقت لم يساعد على ذلك .. ففكرت القيادة .. في وضع ماكيت للهوائي .. أعلا الدشمة الفارغة .. آملين أن يتم خداع قوات الأمم المتحدة .. ويتم اعتماد وجود محطة رادار في هذا الموقع .. وكان من المفروض .. أن يتم تلقيني .. بكل هذا .. ولكن الضباط الكبار .. اعتمدوا على بعضهم .. ظنا منهم .. إني تلقيت التلقين اللازم لهذه المهمة .. ولكن هذا لم يحدث .. وتركوني وحيدا .. مع الزميل المصاب بهزة نفسية .. في مواجهة ضابط الأمم المتحدة .. وكنت قد بدأت استوعب الموقف ..

كان الضابط الفنلندي ..يتكلم بلغة انجليزية .. واضحة و راقية ..

قال .. أنت ضابط محطة الرادار هذه .. وأشار إلى الدشمة ..

قلت .. نعم ..

قال .. إننا في انتظارك منذ يومين ..

قلت .. كنت مكلفا ببعض المهام ..

قال .. هل يمكن أن أشاهد المحطة وهي تعمل ..

أخذت استجمع أفكاري و أنا أتكلم ببطء .. وأنا أفكر كيف امنعه من الدخول إلى هذه المنطقة ..

قلت .. هذه المنطقة من الأرض .. ما زال مدفونا بها .. بعض الشجعان الذين قتلوا خلال المعركة .. وهي تعتبر الآن كأنها .. جبانة للمسلمين .. واعتقد انك تري ..انه من غير اللائق .. للشرف العسكري .. أن تدوس على أجساد هؤلاء الشجعان المدفونين هنا .. أثناء دخولك للموقع ..

ذهل الضابط الفنلندي .. وظهرت على وجهه علامات الغيظ الشديد .. بينما كان العريف السائق .. الذي يقف خلفه بخطوة .. يبتسم في خبث .!. وقد فهم أبعاد المسرحية .. التي أقوم بارتجالها..!.

أخذ الضابط يطـــحن أضراسه في عصبية .. وهو يكـاد ينفجر من الغيظ ..!.

ثم قال وهو يضغط على كلماته .. هل يمكنك أن تقسم لي .. بشرفك العسكري ..!. أن هناك (وأشار إلى الدشمة) .. محطة رادار تعمل ..

قلت له ببطء .. استطيع أن أؤكد لك .. بشرفي العسكري .. أنه كانت هناك محطة رادار تعمل .. وهناك الآن محطة رادار تعمل .. وستظل هنا محطة رادار تعمل ..!.

وتقمصتني فجأة شخصية الفنان يوسف بك وهبي .. في أداؤه المسرحي المبالغ فيه .. فأكملت بنفس صوت يوسف وهبي .. وأخذت ارتجل جملا من وحـــــي الأنفلـونزا و المضاد الحيوي .. مثل .. أن أرواح الشجعان .. الذين سقطوا هنا .. تشاهدنا الآن .. هم الذين يعملون بالمحطة .. وستظل أرواحهم .. تحرس هذه المحطة .. واستمررت أقول كلاما كثيرا غير مفهوما .. حتى بالنسبة لي ..!!. حتى أني لا أتذكره .. وأتعمد خلط الأزمنة .. الماضي بالمضارع بالمستقبل .. بينما كان الضابط ينظر إلي في ذهول .. واعتقد أني تكلمت لمدة طويلة ..!.

وأعتقد أنه كان يقول في نفسه .. في المرة الأولى احضروا لي ضابط مهزوز نفسيا .. يرفض الكلام .. وهذه المرة يحضرون لي .. ضابط مجنون رسميا ..!. لا يتوقف عن الكلام ..!.

وقاطعني فجأة بإشارة من يده وقد نفذ صبره .. وقال في عصبية .. اوكي .. اوكي .. وهذا الذي قلته .. يعني أن هناك .. محطة رادار تعمل ..

قلت له بهدوء بالغ .. نعم يا سيدي ..

التفت إلى العريف السائق .. وتناول منه الدوسيه الجلدي وفتحه .. وأخذ يملا بيانات استمارة ما .. ثم أغلقه وناوله للعريف السائق . وتنهد في ارتياح قائلا .. وهو يشير إلى الدشمة .. هناك محطة رادار تعمل ..

ثم قام بتأدية التحية العسكرية بثبات شديد .. فرددت له التحية .. بأشد منها .. ثم حياني العريف السائق وهو لا يزال يبتسم .. وانطلق الاثنان بالسيارة الجيب .. وعلم الأمم المتحدة يرفرف عليها عاليا ..!.

****

الضابط الرادرجي .. يتحايل على .. ضابط بقوات الأمم المتحدة .. ويقسم بشرفه العسكري ..؟؟.
لتأكيد حق القوات المسلحة .. في وجود .. محطة رادار .. في بور فؤاد .. بعد اتفاقية وقف إطلاق النار ..

(هذه الواقعة ارويها كما حدثت .. ولم أتدخل فيها بالزيادة أو الحذف .. لأني أريد أن القيها من على كاهلي .. بعد أن ظلت على عاتقي .. زمنا طويلا .... ولكنها جزء من تاريخ قوات الدفاع الجوي المصري .. ولا أتذكر تاريخ هذا اليوم .. ولكن اذكره بالتقريب).

(الزمان .. الأسبوع الأول من نوفمبر ٧٣.. والمكان يبدأ في الإسكندرية .. وينتهي في بورفؤاد) ..

(والصورة .. موقع محطة الرادار .. الذي كنت أقوده أثناء حرب أكتوبر ٧٣ .. في بور فؤاد .. الدائرة العليا الحمراء .. والدائرة السفلى الحمراء .. مكان مقابلتي لضابط الأمم المتحدة) .

((القرطسة)) .!. ليست من الأوامر العسكرية .. فالأوامر العسكرية تكون مثل .. أهجم .. تقدم .. تمسك بموقعك .. حتى آخر طلقة .. وآخر رجل .. ولكن أن تتلقى أمرا بقرطسة .!. من أمامك .. ويكون الذي أمامك .. ضابط بقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة .. فهو أمر بالغ الغرابة ..!!.

ولكنني تلقيت هذا الأمر .. ونفذته .. وقرطست ضابط الأمم المتحدة ..!.

واليكم تفاصيل هذه الواقعة ..

في الأسبوع الأخير من أكتوبر ٧٣ .. تم إصلاح كتيبتي .. ٦٥٢ .. وتزويدها بهوائيات جديدة .. وتسلمت محطة رادار جديدة .. وتم دفع الكتيبة إلى الإسكندرية.. وتلقينا أوامر بالدفاع عن ميناء الإسكندرية .. وكان في ذلك الوقت هو الميناء الوحيد الذي يعمل في مصر .. ليستقبل القمح الوارد من الخارج .. وقال لنا قائد التشكيل .. أن الحرب مع إسرائيل .. ربما تتخذ أبعاد أخرى .. وان مخزون القمح في مصر .. يكفي لمدة أسبوع .. وأن العمل يجري .. على رفع هذا المخزون إلى أحدى عشر يوما .. ولو قامت إسرائيل بإغراق أي سفينة في الميناء الغربية .. فإن إعادة الميناء إلى العمل .. قد تستغرق .. ثلاثة أسابيع .. ولذلك .. فإن الأوامر صريحة وقاطعة .. بتدمير أي هدف يظهر .. في مجال عمل الكتيبة .. فورا .. و بدون الرجوع لأي تعليمات من القيادة ..

أمضينا عدة أيام نعمل في حالة تأهب بدون انقطاع .. وفي منتصف الليل في احد الأيام .. وكنت مجهدا ومصابا بنزلة برد شديدة .. وأتمنى أن احصل على قسط بسيط من النوم .. ولو لعدة ساعات .. طلب مني قائد الكتيبة .. الحضور فورا لدشمة القيادة .. فذهبت .. وجدته يقف أمام الدشمة .. وبجواره سيارة نقل ثقيل ..

قال .. مطلوب تسافر حالا إلي بورفــؤاد .. علشان تسجل المحطة بتاعتك هناك

قلت له .. يعني إيه أسجلها يا أفندم .. ولماذا لا يسجلها احد الضباط من قيادة اللواء ٩٨ .. أو من فرع رادار الإنذار في الدفاع الجوي ..

قال .. القيادة .. طلبتك بالأسم ..

قلت يا أفندم أنا تعبان .. و سيادتك عارف إني منتظر اعمل عملية .. علشان الجرح المتلوث اللي في ضهري .. ومين اللي حيمسك المحطة .. مكاني .؟.

قال .. رئيس العمليات .. سوف يحل مكانك .. حتى ترجع لنا بالسلامة .. أتفضل نفذ الأمر ياحضرة الضابط .. والعربية أهيه قدامك .. وحا تاخد تلقين في الموقع .. عن المطلوب منك ..

صعدت إلى عربة النقل الثقيل .. وأنا لا اعلم المطلوب مني بالضبط .. وأعاني من أنفلونزا شديدة .. ومن جرح .. في ظهري .. قد تلوث وامتلأ بالصديد .. وكنت أتناول مضاد حيوي .. وأنتظر لكي اعمل له عملية تنظيف .. وإعادة خياطة ..

وراحت السيارة تسرع .. في طريقها من الإسكندرية إلى بور فؤاد .. لقد قمت بهذه الرحلة من قبل .. ولكن بالعكس .. من بورفؤاد إلى الإسكندرية والعكس .. وكانت عقوبة تكدير .. لأني قمت بإصلاح عطل مستعصي .. بدون أخذ رأي كبير المهندسين .!.

وانطلقت السيارة .. وأنا بين الإغفاءة و الإفاقة .. حتى وصلنا إلى منفذ الجميل في بور سعيد .. في صباح اليوم الثاني .... وهناك وجدت سيارة جيب بها رائد في انتظاري .. وما أن تعرف على شخصيتي .. حتى قال .. أتأخرت ليه يا حضرة الظابط .. ولم ادري ماذا أقول له .. قال .. تعالى بعربيتك .. خليك ورايا .. وصلنا إلى المعدية .. ثم إلى موقع كتيبتي القديم في لسان بورفؤاد .. نزلت فوجدت دشمة محطتي القديمة .. مركب عليها ماكيت رديء الصنع لهوائي الرادار .. وينقصه (الفيد هورن) وهو مائل على جانبه .. ومربوط بحبل .. ولا يمكن أن يخدع أحدا .. بأنه هوائي حقيقي ..!.

ووجدت في انتظاري .. ضابط زميل يعرج ولم أكن اعرفه .. وكان مصابا في وجهه .. ويبدو عليه انه مصاب بهزة نفسية شديدة .. وما أن رآني .. حتى صاح في وجهي بلهجة أبناء بورسعيد .. آني ماليش دعوة .. أنت اللي حا تتكلم .. آني مسئول بس عن حراسة الموقع .. آني محطتي .. أنضربت جنب السويس .. آني هنا بمبوطي .. وأنت اللي حا تتكلم ..

وقفت في مدخل الطريق المؤدي إلى الموقع (الدائرة الحمراء في الأسفل على الخريطة) ..

و أخذت أحاول أن استوعب الموقف .. وما الذي يحدث هنا .. وفي هذه اللحظة .. دخلت الموقع سيارة جيب .. عليها صاري يرفرف عليه العلم

الأزرق الخاص بقوات الأمم المتحدة .. ونزل منها ضابط في أواخر الثلاثينات .. لم أتأكد من رتبته .. وعريف سائق .. في أوائل العشرينات .. (عرفت بعد ذلك أنهم من فنلندا) . وكان العريف السائق يحمل معه دوسيه وبلانشيطه لها غلاف من الجلد ..

كانوا يرتدون البيريهات الزرقاء .. و قمصان بنصف كم .. في عز برد نوفمبر .. و الاثنان في منتهى الصحة و اللياقة و القيافة التامة .!.. وملابسهم العسكرية .. في منتهي الفخامة .. وتبدو كأنها .. سينيه .!. من عند بيير كاردان .. أو جيفنشي .!. بينما كنت ارتجف من المرض و الأنفلونزا .. وأنا بداخل معطفي الميري .. المتواضع .. من صوف العسكري ..!.

قام الرائد .. ضابط الاتصال المصري .. بتقديمي إلى ضابط الأمم المتحدة .. وتبادلنا التحية العسكرية ..

ومال علي هامسا .. لازم ((تقرطسه)) .!. ومش لازم يدخل الدشمة بتاعت محطتك .. بأي شكل ..

صحت فيه بعصبية .. يعني أيه ((تقرطسه)) .!. يا سيادة الرائد .؟.

تركني و أستقل سيارته ومضي .. ولم أراه ثانية ..

قال ضابط الموقع .. آني ماليش دعوه .. آني بمبوطي ..!. انت اللي حا تتكلم

في ذلك الوقت .. بعد قرار وقف إطلاق النار بين مصر و إسرائيل .. جرت محادثات بين مصـر و إسـرائيل .. وتحت إشراف الأمم المتـحدة .. سميت (مباحثات الكيلو ١٠١) .. وكان جانب منها ينص على تثبيت أوضاع

القوات المتحاربة في الدولتين .. وكانت دشمة محطتي السابقة خالية .. وقد فقدت قوات الدفاع الجوي .. عددا محطات الرادار .. واستشهد عدد من ضباط الرادار .. وكان هذا الموقع مثاليا للتغطية الرادارية .. لشمال الجبهة .. وكان يجري تجهيز محطة رادار تحت الإصلاح لدفعها إلى هذا الموقع .. لكن الوقت لم يساعد على ذلك .. ففكرت القيادة .. في وضع ماكيت للهوائي .. أعلا الدشمة الفارغة .. آملين أن يتم خداع قوات الأمم المتحدة .. ويتم اعتماد وجود محطة رادار في هذا الموقع ..

وكان من المفروض .. أن يتم تلقيني .. بكل هذا .. ولكن الضباط الكبار .. اعتمدوا على بعضهم .. ظنا منهم .. إني تلقيت التلقين اللازم لهذه المهمة .. ولكن هذا لم يحدث .. وتركوني وحيدا .. مع الزميل المصاب بهزة نفسية .. في مواجهة ضابط الأمم المتحدة .. وكنت قد بدأت استوعب الموقف ..

كان الضابط الفنلندي ..يتكلم بلغة انجليزية .. واضحة و راقية ..

قال .. أنت ضابط محطة الرادار هذه .. وأشار إلى الدشمة ..

قلت .. نعم ..

قال .. إننا في انتظارك منذ يومين ..

قلت .. كنت مكلفا ببعض المهام ..

قال .. هل يمكن أن أشاهد المحطة وهي تعمل ..

أخذت استجمع أفكاري و أنا أتكلم ببطء .. وأنا أفكر كيف امنعه من الدخول إلى هذه المنطقة ..

قلت .. هذه المنطقة من الأرض .. ما زال مدفونا بها .. بعض الشجعان الذين قتلوا خلال المعركة .. وهي تعتبر الآن كأنها .. جبانة للمسلمين .. واعتقد انك تري ..انه من غير اللائق .. للشرف العسكري .. أن تدوس على أجساد هؤلاء الشجعان المدفونين هنا .. أثناء دخولك للموقع ..

ذهل الضابط الفنلندي .. وظهرت على وجهه علامات الغيظ الشديد .. بينما كان العريف السائق .. الذي يقف خلفه بخطوة .. يبتسم في خبث .!. وقد فهم أبعاد المسرحية .. التي أقوم بارتجالها..!.

أخذ الضابط يطحن أضراسه في عصبية .. وهو يكـــاد ينفجر من الغيظ ..!.

ثم قال وهو يضغط على كلماته .. هل يمكنك أن تقسم لي .. بشرفك العسكري ..!. أن هناك (وأشار إلى الدشمة) .. محطة رادار تعمل ..

قلت له ببطء .. استطيع أن أؤكد لك .. بشرفي العسكري .. أنه كانت هناك محطة رادار تعمل .. وهناك الآن محطة رادار تعمل .. وستظل هنا محطة رادار تعمل ..ّ!.

وتقمصتني فجأة شخصية الفنان يوسف بك وهبي .. في أداؤه المسرحي المبالغ فيه .. فأكملت بنفس صوت يوسف وهبي .. وأخذت ارتجل جملا من وحي الأنفلونزا و المضاد الحيوي .. مثل .. أن أرواح الشجعان .. الذين سقطوا هنا .. تشاهدنا الآن .. هم الذين يعملون بالمحطة .. وستظل أرواحهم .. تحرس هذه المحطة .. واستمررت أقول كلاما كثيرا غير مفهوما .. حتى بالنسبة لي ..!!. حتى أني لا أتذكره .. وأتعمد خلط الأزمنة .. الماضي بالمضارع

بالمستقبل .. بينما كان الضابط ينظر إلي في ذهول .. واعتقد أني تكلمت لمدة طويلة ..!.

وأعتقد أنه كان يقول في نفسه .. في المرة الأولى احضروا لي ضابط مهزوز نفسيا .. يرفض الكلام .. وهذه المرة يحضرون لي .. ضابط مجنون رسميا ..!. لا يتوقف عن الكلام ..!.

وقاطعني فجأة بإشارة من يده وقد نفذ صبره .. وقال في عصبية .. اوكي .. اوكي .. وهذا الذي قلته .. يعني أن هناك .. محطة رادار تعمل ..

قلت له بهدوء بالغ .. نعم يا سيدي ..

التفت إلى العريف السائق .. وتناول منه الدوسيه الجلدي وفتحه .. وأخذ يملا بيانات استمارة ما .. ثم أغلقه وناوله للعريف السائق . وتنهد في ارتياح قائلا .. وهو يشير إلى الدشمة .. هناك محطة رادار تعمل ..

ثم قام بتأدية التحية العسكرية بثبات شديد .. فرددت له التحية .. بأشد منها .. ثم حياني العريف السائق وهو لا يزال يبتسم .. وانطلق الاثنان بالسيارة الجيب .. وعلم الأمم المتحدة يرفرف عليها عاليا ..!.

****

الضابط .. الرادرجي .. يتذكر ..
فصل من ملحمة .. إنشاء حائط الصواريخ .. على جبهة القناة ..
عام ١٩٧٢
خطة إدخال أربعة كتائب صواريخ إلى بورسعيد و بورفؤاد ..
في ليلة .. غاب فيها القمر ..!.
الزمان .. ربيع عام ١٩٧٢ ..، والمكان .. بورسعيد و بورفؤاد .

تم إنشاء حائط صواريخ الدفاع الجوي على جبهة القناة .. في عام ١٩٧٠ .. بعد أن وافق الرئيس جمال عبد الناصر على مبادرة (وليام روجرز) ، وزير خارجية أمريكـــا في ذلك الوقت ، بوقف حـــرب الاستنزاف بين مـــــصر و إسرائيل.. ، ولم تكن إسرائيل تفطن إلى الغرض من قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز . فقد كان الرئيس عبد الناصر يهدف من ذلك إلى تأسيس حائط من صواريخ الدفاع الجوي على جبهة قناة السويس.

ولم يكن حائـــط الصواريخ .. قد اكتمل تماما ..، فقد بقي قطاع بورســـعيد و بورفؤاد .. خارج منظومة الدفاع الجوي ..

وحائط الصواريخ .. يشبه عنقود العنب .!. ومجال عمل كل كتيبة صواريخ هو دائرة نصف قطرها .. عشرين كيلو متر .. وتبدو على الخريطة .. مثل دوائر متقاربة .. ومتداخلة .. يؤازر بعضها بعضا مثل البنيان المرصوص .. ، وإذا نظرت الى الخريطة .. سوف تجد بورسعيد و بورفؤاد مثل الجزيرة المنعزلة .. وإذا اتجهت من بورسعيد جنوبا .. مرورا بخط القناة .. التينه ثم الكاب .. فسوف يكون على اليمين بحيرة المنزلة .. ولا يمكن

وضع أي تشكيلات للصواريخ فيها .. ، وأول تشكيلات لصواريخ الدفاع الجوي .. تبدأ تقريبا من خط مدينة القنطرة ..، ولذلك فإن تشكيلات الصواريخ في بورسعيد تقاتل بمفردها ولا يتداخل نطاق عملها .. مع نطاق باقي حائط الصواريخ ..

ولذلك وضعت قيادة الدفاع الجوي خطة محكمة ..لإقامة نطاق من الصواريخ .. يغطي قطاع بورسعيد ـ بورفؤاد . وهـــذا التشكيل سوف يكون بمفرده .. و الكتائب تتبادل حماية بعضها البعض وتقوم بالدفاع الجوي عن بور سعيد .

كانت الخطة .. عبقرية في التخطيط .. وتفاني في التنفيذ .. ، فقررت القيادة تشكيل اللواء ٩٨ دفاع جـــوي ، بقيادة اللواء كمال منير الجبالي (وقد خلفه العميد فيليب نصيف زخاري) ، وتم اختيار أربعة من كتائب الصواريخ المتميزة .. اثنان دفنا (سام ٢) واثنان بتشورا (سام ٣) . وكنت أنا ضابط الرادار بالكتيبة ٦٥٢ بتشورا وموقعها في بورفؤاد .

كانت الخطة تقتضي بإدخال الأربعة كتائب في هدوء .. وتخبئتها في ورش ترسانة بورسعيد و مخازن البوندد .. لعدة أيام .. حتى يوم التنفيذ .. ، وفي ذلك الوقت .. كان الطيران الإسرائيلي يقوم بطلعات يومية فوق بورسعيد .. على ارتفاع أعلى من مدى المدفعية المضادة للطيران .

قمنا بفك معدات الكتيبة .. وانطلقنا من محل تمركزنا القديم .. في وسط الدلتا .. والكتيبة .. قول متحرك من أربعـــــين سيارة نقل ثقيل .. تشـــمل الكبائن و ومنصات الصواريخ والهوائيات والرادار .. ومستلزمات الوقود و الإعاشة .. وكانت الرحلة مرهقة .. وغاية في التوتر .. بلغنا دمياط .. ثم

بورسعيد .. وفق جدول زمني محدد بالدقيقة .. ودخلنا ورش هيئة قنال السويس .. وما إن دخلنا ..حتى ارتمينا على الأرض من فرط الإجهاد ونحن نحس بالأمان لوجود جنود البحرية حولنا .

وفي صباح اليوم التالي ذهبت لمعاينة موقع الكتيبة في بورفؤاد .. ركبت المعدية لأول مرة .. ومن موقعي شاهدت بالمنظار .. النقطة الإسرائيلية عند الكيلو ١٨ ، طريق بورفؤاد ـ العريش وكانت تسمى .. نقطة القطع .

منحتنا القيادة راحة لمدة يومين .. بينما كان السائقين يدرسون طريق تحركهم شبرا .. شبرا .. لأن إدخال المعدات سوف يتم في الظلام الدامس في ليلة محاق .. غاب فيها القمر ..!.

رحت أنا وزملائي الضباط نتجول في مدينة بورسعيد الجميلة ونستكشفها .. وكان الأهالي يحيون بود .. هؤلاء القادمين الجدد .. وأدهشني أن المدينة .. بها إذاعة داخلية تذيع عن طريق مكبرات صوت معلقة على أعمدة النور .!. وكانت تذيع وقتها ابتهالات للشيخ النقشبندي .. مما بعث في نفوسنا شعورا بالأمن و الثقة و الارتياح.. إنها مشاعر يصعب وصفها .!.

وفي لحظة الصفر .. مساء يوم التنفيذ .. انطلقت كتائب الصواريخ من مكامنها .. بهدوء .. في طريقها لاحتلال مواقعها .. اثنتان في بورفؤاد ..في الملاحـــــات و لسان بورفؤاد و اثنتان في بورسعيد في القابوطي و الجميل .

أخذت وحدات كتيبتي تتحرك نحو المعدية .. وفق جدول زمني محكم محدد بالدقيقة .. واستقللت المعدية أنا و جنودي ومحطتي و مهماتي ووقودي .. وعبرنا بسلام .. إلى بورفؤاد ..

ما زلت متعجبا حتى اليوم الذي أكتب فيه هذه المقالة .. كيف قاد السائقين هذه السيارات في هذا الظلام الحالك ..؟. دخلنا الموقع .. وبدأ إفراد الكتيبة في تركيبها في الظلام الحالك .. كان كل فرد من الكتيبة .. يدرك دوره تماما ، وكان الجنود قد ربطوا العدة الخاصة بهم بدوبارة قي القايش .. حتى لا تسقط منهم في الرمال ..، أتممت أنا و جنودي إدخال المحطة في الدشمة .. وتركيب الهوائيات .. وتوصيل المولدات وخطوط الإتصالات .. وكوابل الربط مع كابينة القيادة وضبط إحداثيات المحطة وفرد الخرائط .. ومراجعة دقة توليف المحطة ، وكان باقي أفراد الكتيبة يعملون على الانتهاء من تركيبها .. ، وتم كل ذلك بنجاح ..

لقد أثمرت شهور التدريبات الشاقة .. عن هذا النجاح ..

ولبثنا ننتظر الأمر بالتشغيل وكان مقدرا له قبل الفجر بنصف ساعة .. ، وجاء أمر التشغيل ..

وفوجئت وحدات التصنت الالكتروني الإسرائيلية في سيناء ..بانبعاثات الكترونية .. كثيفة .. صادرة من بورسعيد و بور فؤاد .. لقد بدأت رادارات الإنذار و الالتقاط في العمل ..

وفوجئ الأهالي و القوات في بورسعيد .. بأن الأرض قد انبتت .. ليلا .. أربعـــة كتائب للصواريخ .. وكانت الصـــــواريخ على قواذفها .. تدور و ترتفـــــع و تنخفض .. مستجيبة لأوامر التوجيه من كابينة القيادة .. مشهد يبعث الثقة في النفس .

وحدث ما كان متوقعا .. كان من عادة الطيران الإسرائيلي أن يأتي من جهة الشرق في الصباح الباكر .. حيث تكون الشمس في أعين جنود المدفعية

المضادة للطائرات ..، و شاهدت على شاشة الرادار عندي .. لأول مـرة .. الطائرات الإسرائيلية وهي تقلع من مطـــــارات العريش و المليز .. متجهة نحونا .. ولكنها لم تجرؤ على الاقتراب من بورسعيد .. وظلت تحوم على مسافة أكثر من ثلاثين كيلومتر ..

لقد انتهى زمن عربدة الطيران الإسرائيلي.. فوق سماء بورسعيد ..

لقد جئنا إلى هنا .. لكي ندافع عن سماء هذه المدينة ..

وسوف نظل في مواقعنا .. صامدون .

****

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ.

في هذا اليوم من كل عام (٣٠ يونيو) تحتفل مصر والقوات المسلحة بعيد قوات الدفاع الجوي .

(الصورة لمحطة الرادار السوفييتية الميدانية طراز ب ١٥) .

في هذا اليوم من كل عام (٣٠ يونيو) تحتفل مصر والقوات المسلحة بعيد قوات الدفاع الجوي ،

و (كاتب هذه السطور). من الجيل الأول الذي عمل على قيادة هذه الرادارات ، والتي ما زالت تعمل على مدار الساعة حتى يومنا هذا .

والدفاع الجوي ـ القوة الرابعة ـ هو السلاح الرابع الذي قرر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر إنشاءه عقب نكسة يونيو ٦٧ كسلاح مستقل إضافة للقوات البحرية والبرية والجوية، وذلك بعد أن أدرك أهميته في تكوين حائط من الصواريخ لحماية مصر وأنه الطريق الوحيد للتغلب علي تفوق العدو العسكري في الطيران، وذلك بعد أن كانت قوات الدفاع الجوي موزعة علي باقي القوات إذ يؤدي سلاح الدفاع الجوي دورا مهما ومؤثرا في الحروب المختلفة ويقوم بدور فعال في حسم المعركة بالتعاون مع الأسلحة الأخرى. وفي الثلاثين من يونيو عام ١٩٧٠ كتب رجال الدفاع الجوي المصري بدمائهم صفحات مضيئة في تاريخ العسكرية المصرية، حيث أتموا بناء حائط الصواريخ المصري رغم الهجوم الشديد المكثف من الطيران الإسرائيلي ليصبح حائط الصواريخ المصري بداية إنهاء أسطورة القوات الجوية الإسرائيلية.

ولقد عملت محطات الرادار في قوات الدفاع الجوي على مدار الساعة و على مدار اليوم .. لكشف أي طائرات تغير على سماء مصر.. وكانت هي الهدف الأول الذي تريد إسرائيل تدميره لكي تستطيع الطيران الإسرائيلي .. أو الذراع الطويلة لإسرائيل .. من قصف و تدمير قوات الجيش المصري .. ، ولكن أطقم هذه الرادارات تمكنوا من رصدها .. وتحديد إحداثياتها .. لكي تتمكن كتائب الصواريخ من تدميرها .

وقد قدمت محطات الرادار .. الكثير من الشهداء .. الذين استبسلوا .. وأستشهدوا .. وهم يرصدون سماوات مصر ، ومنهم .. ضابط الرادار الأول .. على جبهة قناة السويس .. الشهيد الملازم أول احمد الزاهر محمد .. زينة شباب مصر .. و زميلي و توأم روحي .. ، استشهد مع طاقم محطته

بالكامل .. يوم ٨ أكتوبر ٧٣ .. في الكتيبة ٦٦٠دفاع جوي .. في القابوطي ..قطاع بور سعيد .

التحية العسكرية واجبة لأرواح شهداء الدفاع الجوي والجيش المصري ..

تعظيم سلام .

نوبة رجوع .

****

هذه الصورة . هي جزء من تاريخ مصر . مضى عليه نحو أربعون عاما .

صورة تاريخية نادرة . لطاقم من الجنود السوفييت . في كتيبة صواريخ دفاع جوي . سام ٣ . عام ١٩٧٠ .

هؤلاء الجنود السوفييت . هم الذين دافعو عن سماء مصر ضد الطيران الإسرائيلي المنخفض . في عام ٧٠ . وقاتلو بجوار المقاتلين المصريين . في ظروف شاقة و في فترة من أحرج الفترات في تاريخ الصراع المصري الإسرائيلي .

وقد كانوا يرتدون الملابس العسكرية المصرية للجنود المصريين . بدون تظبيت أو قيافة . ولا يضعون الرتب العسكرية . وقد انضم إليهم بعد فترة بسيطة . طاقم من الضباط والجنود المصريين . الذين عملوا على صـــواريخ (البتشورا - سام ٣) . ودافعوا عن سماء مصر . وقد كنت واحدا من الضباط الذين تدربوا على أيدي السوفييت . وتسلموا العمل منهم بعد ذلك .

و بالنيابة عن زملاء جيلي . أؤدي لهم التحية العسكرية . لأنهم زملاء في السلاح .

نقيب دفاع جوي سامح فرج .

****

صورة الفرحة بالعبور .

من أجمل الصور التي التقطت عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، رغم بساطتها

جندي يقف إمام احد المعابر التي أقيمت على القناة ، ويرفع يديه إلى أعلا وهو يحمل سلاحه مبتهجا بالنصر .. وهو يرتدي الخوذة الإسرائيلية .!.

ورغم أن هذه الصورة نشرت منذ أربعة عقود .. وما زالت تنشر حتى الآن .. إلا أن أحدا من العسكريين .. لم يتكرم بشرح أبعادها ..

واعتز إني كنت أول من نشر هذا التعليق .. وقد تم تبادل نشرها في كثير من مواقع الفيسبوك .. وبعض المواقع على الانترنت .. وبعضها أشار إلى اسمي .. والبعض الأخر .. نسب التعليق إلى نفسه ..!. وقد نشرت هذه الصورة في الصحف يوم سبعة أو ثمانية أكتوبر ٧٣ ،

وتناقلتها وكالات الأنباء العالمية ، وقد أحدثت في إسرائيل ذعرا هائلا لما تضمنته الصورة من دلالات .

أولا .. أول صورة تنشر للمعابر على قناة السويس ، وقد ذهل العالم كله من الفكر العسكري المصري .. الذي تمكن في زمن قياسي .. من تجريف الساتر الترابي .. على قناة السويس .. وإقامة المعابر .. واجتياح خط بارليف الحصين .

ثانيا ... الجندي المصري يحمل رشاش بورسعيد ، وهو صناعة مصرية وهو النسخة المصرية من الرشاش السويدي القصير (كارل جوستاف) .
و يحمل الجندي الإسرائيلي الرشاش عوزي الإسرائيلي .. ، ولكن الجندي المصري قد انتصر بسلاحه المصري ..، وهذا يؤكد الحقيقة .. إ ن الجندي..أهم من السلاح .

وثالثا .. أن الجندي المصري .. يرتدي الخوذة الإسرائيلية ..!!. ، أي أن الجندي المصري الجسور .. قد هزم الجندي الإسرائيلي المتحصن في خط بارلييف .. واستولى على عتاده ...!.
إنها من أجمل الصور المعبرة عن حرب أكتوبر، وأتمنى أن أكون قد أسهمت في توضيحها، وشكرا .

التحية العسكرية لأرواح شهداء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وتحية خاصة لزملاء السلاح .

****

حكاية المقاتل علوان .

همه دول .. ولادك .. يا مصر ..

المقاتل ((علوان)) .. هو الثاني من اليمين في صورة له مع الرئيس انور السادات وبعض مراسلين الصحف الأجانب ، عام ١٩٧٥ ، التقطت على ظهر المدمرة ٦ أكتوبر عام ٧٥ ، بعد إعادة افتتاح قناة السويس ، وتحرير سيناء .

فصل من تاريخ العسكرية المصرية ..

والمقاتل علوان .. ابن كفر الدوار .. و احد المقاتلين البواسل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهو ضارب للصاروخ (استيريللا) ، أو (سام ٧) المحمول على الكتف .. المضاد للطائرات .

ومن إنجازاته .. إسقاط سبع طائرات إســـــرائيلية .. وإصابة اثنتين .. و أسر اثنين طيارين اسرائيلين .. وإنقاذ طائرتين مصريتين .. وهو انجاز عسكري تاريخي .. لم يتحقق من قبل .. ولا اعتقد انه سوف يتكرر .

وفي حالة المعارك الجوية .. بين طائراتنا و الطائرات الإسرائيلية .. ، وبحسب الأوامر العسكرية الصـــــارمة .. ، تكون قوات الدفاع الجوي (مدفعية – صواريخ) .. مقيدة .. وخارج الخدمة القتالية .. .. ولا يسمح لها بالاشتراك في القتال ..إلا بعد صدور الأوامر المحددة لها ..

ولكن المقاتل ((علوان)) .. بإحساسه .. بسلاحه .. وبقدراته .. تجاهل هذه التعليمات .. والقى بكتالوج التعليمات .. جانبا .!. وفي يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ .. كانت طائرتان مصريتان (ميج ١٩ و سوخوي ٧) .. عائدتان بعد معركة جـــــــوية وخلفهما طائرتين ميراج إسرائيليتين .. (تفوقهما في مدى القتال) .. ترك علوان طائراتنا .. تمر من إمامه .. وأطلق صاروخه على الطائرات الإسرائيلية .. فدمر واحدة .. وفرت الثانية .

سرعة الطائرات في ذلك الوقت حوالي (٣٠٠ متر) في الثانية .. وسرعة الصاروخ (الاستيريللا) سام ٧ .. ضعف هذا الرقم . . والزمن المقدر لهذه الاشتباكات الجوية .. هو أجزاء من الثانية .. للمراقبة والتفكير .... واتخاذ القرار .. ثم إطلاق الصاروخ ... ولم يحدث هذا في التاريخ العسكري من قبل .. ولكن .. المقاتل علوان .. أتخذ القرار .. بنفسه .. وأطلق صاروخه .. لكي يسجل صفحة جديدة من تاريخ العسكرية المصرية .. والعالمية.!. و عنوانها هو .. الإحساس بالوطن .. و بزمالة السلاح .. هو ألإحساس .. بالحياة .. حصل المقاتل .. علوان .. على وسام نجمة سيناء .. وبعد انتهاء مدة خدمته العسكرية .. في عام ١٩٧٤ .. عاد الى بلدته .. وأصبح مسئول التنمية

بالوحدة المحلية بكفر الدوار .. وتوفي الى رحمة الله عام ٢٠٠٩ .
هل سمعت أو قرأت عن المقاتل .. ((علوان)) .. من قبل .... همه دول .. ولادك .. يا مصر ..

****

الضابط الرادرجي .. يتذكر ..

الملازم الرادرجي .. يتجاهل الكتالوج الروسي ..
ويقلل الزمن اللازم .. لفك محطة الرادار .. من ثلاث ساعات .. إلى ..
ساعة ونصف .. ويكتب كتالوجا مصريا جديدا ..

الزمان .. ربيع عام ١٩٧١ .. والمكان .. صحراء جنوب الصعيد .. الكتيبة ٦٥٢ دفاع جوي .

(الصورة لمحطة الرادار ب ١٥ في وضع التحرك ، والهوائي منطوي على سطح المحطة) .

في عام ١٩٧٠ .. قررت قيادة قوات الدفاع الجوي .. تشكيل .. مجموعة من كتائب الصواريخ .. بتشورا (سام ٣) للدفاع الجوي .. ضد الطيران المنخفض .. وتم تشكيل هذه الكـــتائب و تمركزت في جنوب و وسط الصعيد لحماية الأهداف الإستراتيجية في جنوب الصعيد مثل كوبري أسيوط .. وكوبري و قناطر نجع حمادي ..

وفي بادئ الأمر .. كانت هذه الوحدات .. تضم طاقم سوفييتي .. ومعه .. طاقم مصري يتم تدريبه و تجهيزه .. لدفعه إلى جبهة قناة السويس .. وكان المطلوب من الطاقم المصري التدرب على فك الكتيبة .. وإعادة تركيبها .. في اقل زمن ممكن .. لأن هذه الكتائب إذا تم دفعها للجبهة .. ولم تتمكن من تركيب وتنصيب نفسها في الزمن المقرر .. فسوف تصبح .. لقمة سائغة للطيران الإسرائيلي .

والنظام السوفيتي للدفاع الجوي (بتشورا) (سام ٣) ، من الأسلحة السوفيتية الثقيلة ، والتي تعمل داخل الاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو .. داخل المنظومة الإستراتيجية .. للدفـــــاع عن الأهداف الحيوية مثل (المطارات ـ الموانئ ـ الجسور أو الكباري) ، وغالبا ما تستقر في مكان واحد ولا تغادره .. لسنين طويلة . أما في مصر ..، فقد كان المطلوب من هذه الوحدات أن تقاتل .. حسب الفكر التكتيكي المصري .. وليس حسب الإستراتيجية السوفيتية ، لذلك كان مطلوبا تحويل هذا السلاح إلى سلاح تكتيكي .. يسهل تحريكه .. ونقله من مكان إلى ..آخر ..

ومحطة الرادار بـ١٥ العاملة ضمن كتائب البتشورا .. ، توضع داخل دشمة من الخرسانة المسلحة .. تشبه النفق .. طولها عشرين مترا وعرضها خمسة أمتار و ارتفاعها أربعة أمتار وسمكها ..مترا ونصف ..، وفي الثلث الأول منها فتحة .. تركب عليها وصلة معدنية .. هي التي تحمل الهوائي .. ويتم إغلاق مدخل الدشمة .. بحائطين من شكائر الرمل بارتفاع الدشمة وعرض اثنين متر .. وبهما فتحتان متعاكستان .. للدخول و الخروج .. والغرض من الساتر هو الحماية من القصف الجوي .. ، وترتبط المحطة مع كابينة القيادة و إطلاق و توجيه الصواريخ .. بعدد ستة كوابل .. تنقل معلومات شاشة المحطة .. إلى شاشة أخرى بالكابينة .. أمام قائد الكتيبة .. بحيث يشاهد شاشة المحطة .. فوريا .. ، ومجموعة الكوابل .. طولها حوالي مائة متر و تمتد من المحطة الى الكابينة .. عبر مواقع القواذف .. ويجب حفر مجرى لها في الأرض .. ثم الردم فوقها .. لحمايتها عند تحرك أي مركبات فوقها ..

وعند تحرك المطة من موقع ..الى موقع آخر يجب أولا .. فك الكوابل من جهة كابينة القيادة .. وسحبها خارج منطقة القواذف .. حتى لا تتعرض

لمرور أي مركبة عليها .. ثم لف كل كابل على حدة .. على بكرة معدنية مجهزة بقاعدة و مانيفلا ... وبعد الانتهاء من لف الكوابل .. يتم فك الساتر المعمول من شكائر الرمل .. وتشوينها بجوار الدشمة .. ثم يفك الهوائي ..ويتم اخراج المحطة من دشمتها .. ويعاد تركيب الهوائي فوق سيارة المحطة .. وتكون جاهزة للتحرك .. مثل الصورة الموضحة ..

وفي أول تدريب على فك و تركيب المحطة ..، كان العمل مشتركا بين الطاقمين .. المصري و الروسي .. وتعقدت الكوابل مع بعضها ..!. وفشل التفاهم بيننا وبين الطاقم الروسي .. وتعطلت لغة الكلام .!. فتركت للطاقم السوفييتي مهمة لف الكوابل .. وقمت أنا و جنودي .. بفك باقي المحطة .. ، وقد كان الزمن المقدر لفك المحطة هو ثلاث ساعات .. ولكننا احتجنا إلى خمسة ساعات لإتمام ذلك .. وكان التأخير بسبب إعادة لف الكوابل .. وكان هذا فشلا ذريعا بالتأكيد .. ، وتقرر إعادة هذا التدريب بعد ذلك بعدة أيام ..

في اليوم الثاني ..، أخذت أفكر في حل لهذه المشكلة .. فتوصلت الى أنه لو تم تجميع هذه الكوابل .. في شكل حزمة واحدة .. ويتم جمعها على شكل لفة واحدة ..على ظهر سيارة نقل .. فإن ذلك يقضي على مشكلة تجميع الكوابل على بكراتها .. ، وثانيا .. لو تم نقل الهوائي على سيارة آخرى .. دون إعادة تركيبه على ظهر المحطة .. فإننا سوف نوفر زمن تركيبه على ظهر المحطة .. وزمن إعادة فكه .. عند دخول المحطة الى موقعها الجديد ..

وشرعت في تنفيذ ذلك .. وقمت بجلب عدد كبير مش شكائر الخيش الفارغة .. وتم تقطيعها إلى شرائط .. ثم لف مجموعة الكوابل بالخيش .. وربطها بسلك رباط .. كل نصف متر .. فتحولت مجموعة الكوابل إلى كابل واحد قطره ستة سنتيمترات ..!.

أخبرت قائد الكتيبة و رئيس العمليات .. بالخطة الجديدة لفك المحطة .. وطلبت أن يكون العمل في التدريب القادم للطاقم المصري .. فقط .. وكان هناك تخوف من فشل آخر عند التنفيذ .. ولكنني كنت واثقا من الفكرة ومن جنودي .. وأنا الذي يتحمل المسئولية كاملة ..

وفي اليوم المقرر لاعادة التدريب على فك المحطة .. اجتمع أمام الدشمة .. طاقم مصري من القيادة .. وطاقم سوفييتي لتقييم الأداء ..

بدأنا بفك الكوابل من جهة كابينة القيادة .. ووقفت سيارة نقل ثقيل كراز .. وبدأت في التحرك ببطء متجهة الى دشمة المحطة .. و الجنود يلفون مجموعة الكوابل .. على شكل حلقة .. على ظهر السيارة .. وقد استغرق تجميع الكوابل بهذه الطريقة .. حوالى .. عشرة دقائق .!.

كان ذلك شيئا أشبه بالسحر .!. ، ثم القى الجنود بالمخالي التي تحتوي على حاجياتهم الشخصية ..داخل لفة الكوابل .. والقوا فوقها بالغطاء القماشي المشمع للمحطة .. وتم فك الهوائي .. إلى ..مجموعة المنتصف .. والأربع اجنحة .. ونزل الجنود من على سطح الدشمة .. وهم يحملون الهوائي .. كأنهم مجموعة من الفراعنة .!. يحملون مركب من مراكب الشمس .. في طريقها الى رحلة ..الخلود ..!.

تم وضع الهوائي .. فوق المشمع .. فوق الكوابل .. ثم وضعت فوقه شباك التمويه .. ووضـــــع فوقهما الأربعة اجنحة الجانبية .. !. وبهذا كان الهوائي و الكوابل .. مؤمنان نمـــــــاما .. انتهينا من فك المحطة تماما و تحميلها علي سيارات النقل .. في زمن قدره .. ساعة ونصف .. بدلا من ثلاثة ساعات ..!.

واصطف الطاقم المصري .. أمام قول السيارات التي تحمل معدات المحطة .. .. وتقدمت من قائد الكتيبة .. وأديت له التحية العسكرية .. قائلا .. تمام يا فندم .. المحطة جاهزة للتحرك ..

وطالت وقفتي .. و اللغط بين الخبراء الروس .. على أشده .. والمترجمون عاجزون عن ترجمة الحوارات الدائرة بينهم .. ولا شك أن الطاقم المصري .. كانوا يتداولون فيما بينهم ..!. الظاهر أن الروس بيقولو أن الملازم الرادرجي المصري .. يستحق ..النفي الى سيبيريا ..!. لمخالفته كتالوج التعليمات الروسية .. لفك محطة الرادار ..

وأخيرا .. سادت لحظة من السكون .. صحراء جنوب مصر .. ورفع البولكوفنيك (كولونيل) شليب قائد الكتيبة السوفيتية يده اليمنى إلى أعلا .. والإبهام مفرودا .. وقال " اوتشن .. خراشو (جميل جدا) .!.

وتبادل جميع المصريين و السوفييت التهنئة و الإعجاب بهذا الانجاز ..

ولقد تم اعتماد هذه الطريقة في فك محطة الرادار .. بعد ذلك .. ونتج عن ذلك .. كتالوج جديد ..!.

وكان هذا الكتالوج .. الجديد .. هو أول مؤلفات .. الرادرجي ..!.

****

الرادرجي .. كاد أن يتسبب في نشوب حرب أكتوبر قبل موعدها.. بسبب سرب من الإوز العراقي ..!.

في ربيع عام ٧٢ ، وضمن خطة إقامة حائط الصواريخ على جبهة قناة السويس ، تم دفع تشكيل قتالي من خمسة كتائب صواريخ إلى قطاع بورسعيد و بورفؤاد .. لتوفير الحماية من الهجمات الجـوية لهذا القطاع و لميناء بورسعيد . .وكانت كتيبتي من ضمنهم ، وكانت في لسان بورفؤاد.. وكانت محطة الرادار الخاصة بي على البحر و القناة مباشرة ، وكانت موقعا مثاليا حدده الخبراء ، لاكتشاف الطيران المنخفض جدا ، والذي يفضل الطيران الإسرائيلي استخدامه لمهاجمة مصر ، ولأنه في عام ٧٠ استخدمت إسرائيل هذا الأسلوب في الإغارة على مدرسة بحر البقر و مصانع منطقة ابو زعبل .. ، وكانت الأوامر المشددة تقضي بإسقاط و تدمير أي هدف منخفض يظهر من اتجاه البحر .. فورا ..، وكانت مهمتي الأولى ..هي التركيز التام على اتجاه البحر .. مع باقي الاتجاهات طبعا .

وفي منتصف مايو عام ٧٣ التقطت محطتي ، هدفا منخفضا ..على مسافة أقل من عشرين كيلومتر ويطير بسرعة بطيئة .. قمت بتمييز الهدف على إنه طائرتان هليكوبتر تحلقان على ارتفاع منخفض جدا .. وفورا تم رفع حالة الاستعداد القتالي للجبهة كلها .. إلى درجة التأهب القصوى .. وطلبت مني القيادة تحديد سرعة الهدف .. ولكن ذلك كان صعبا .. لأنه لا يكاد يتحرك .. فقدرت انه يحوم في مكانه .. أي يدور في دائرة قطرها نحو كيلومتر ..، ولكن القيادة أبلغتنا أن هذا الهدف هو هدف للمشاغلة .. وقد يكون هناك إغارة من اتجاه آخر .. ويجب علي الانتباه الكامل إلى باقي الإتجاهات .. وتم تشغيل

كل محطات الرادار ووحدات تتبع الأهداف في كتائب الصواريخ .. في الجبهة وفي مصر كلها .. للتفتيش عن الهدف في الإحداثي الذي قمت بتحديده .. ولكنها كلها ..أبلغت أنه لا توجد أهداف في هذه المنطقة ..

وبعد عدة دقائق ..مرت كأنها الدهر .. تمكنت من تحديد سرعة الهدف بأنها في حدود اثني عشر كيلومتر في الساعة .. ، وبعد أن تدارست القيادة العليا للدفاع الجوي هذا الموقف .. قررت أن هذا الهدف سحابة .. ربما تكون محملة بشحنات كهرومغناطيسية .. وطلبت مني إلغاء هذا الهدف .. مع استمرار الانتباه الكامل .. ، رفضت هذا الأمر وقررت الاستمرار في التبليغ .. فإتصل بي أحد نواب قادة التشكيل بالتليفون قائلا .. " ليه مش عايز تلغي الهدف .. يا حضرة الظابط .. هدف منخفض جدا بسرعة اتناشر كيلو في الساعة .. وأنت عامل قلق للجبهة كلها .. يعني حيكون أيه .. واحد راكب بسكليته .. وبيتمشى في الجو ..!؟. وبعدين محطة الرادار بتاعتك .. هيه الوحيدة في مصر التي رصدت هذا الهدف.. " .

كان عند قائد كتيبتي في كابينة توجيه الصواريخ شاشة مطابقة لشاشة الرادار عندي .. وكان معنا على نفس خط التليفون .. فتدخل في المكالمة قائلا لنائب القائد " يعني لو الظابط الرادرجي بتاعي عنده تهيؤات ..يبقى أنا كمان عندي تهيؤات ..الهدف قدامي وأنا شايفه .. مؤكد أنه هدف ..ولكن لا نعلم ماهو ..؟." .

وتعجبت القيادة من موقف هذا الضابط الرادرجي العنيد .. ولكنها سوف تقوم بتأنيبه .. ولكن بعدين ..!.

والسحاب يظهر على شاشات الرادرات بصور مختلفة حسب شهور السنة .. يعني الصيف غير الشتاء غير الربيع .. والصباح غير المساء و الأماكن الزراعية غير الأماكن الصحراوية ..غير سحاب البحر .. وكل محطة رادار بها دفتر لتدوين أحوال السحاب وأيضا المحطات مزودة بوحدات لتنقية الرادار من السحاب .. فضلا عن أن السحاب يتحرك مع اتجاه الريح ، والريح كانت هادئة في ذلك الوقت وتهب من اتجاه الشمال الشرقي بينما الهدف يتحرك من الشمال إلى الجنوب .. واستخدمت كل إمكانيات المحطة لعزل هذا السحاب .. ولكن دون جدوى ..

كنت من الجيل ألأول الذي عمل على هذه الرادارات في مصر .. ونحن الذين اكتشفنا الخبرة .. وقدمناها للأجيال التالية .. ونحن أمام موقف جديد وخطر .. ولم يحدث لنا من قبل ..؟.

وبعد ساعة مرت كأنها الدهر .. قدرت أن الهدف سوف يكون أمامنا ويمكن رؤيته بالعين المجردة .. خرجت من دشمة المحطة ..ونظرت في الأفق .. كان أمامي سرب من الأوز العراقي .. حوالي عشرين طائر .. يطير متهاديا .. ولا على باله ... !!. ويأخذ تشكيل الحرف (V) .. ، اتصلت بقائد الكتيبة وطلبت منه الخروج من كابينة توجيه الصواريخ لرؤية الهدف .. أخذت أنا و قائد كتيبتي و زملائي نضحك في جنون من هذا الموقف .. وطلبت من القائد أن يسمح لي بإطلاق النار من مدفعي الكلاشينكوف ..على هذا السرب .. انتقاما منه .!. ولعلنا أيضا نحصل على وجبة شهية .!.

رد علي القائد المقدم محمد عباس (رحمه الله) قائلا " يعني مش كفاية القلق اللي عمـــلته للجبهة كلها .. وعايز كمـــــان تضرب نار .. و

تولعها تاني .. يا برنس ..!. إنصراف على دشمة الرادار بتاعتك يا حضرة الظابط .. ولا تخرج منها .. إلا عندما أعطيك الأمر بذلك .." .

أديت له التحية العسكرية وذهبت الى الرادار ومكثت فيه .. ، وتوقعت أن أنال في المساء .. طريحة محترمة .!.. من التقريع و اللوم .. لمخالفتي للأوامر وعدم إلغاء الهدف ..

ولكن .. ماذنبي أن الرادار بتاعي .. يكون الوحيد الذي التقط هذا السرب .. لا بأس أنا استحق ذلك .. وهذه هي آخرة العند ..!. وأستحمل يا أ بو السماح .. نتيجة العند بتاعك ..!.

و لكن .. على العكس اتصل بي و وبقائد كتيبتي ..على نفس الخط القيادة المركزية وأبلغتنا تقديرها لموقفنا .. مع كم لا بأس به من الثناء الذي يشرح القلب .!. ، وطلبت استمرار اليقظة و الانتباه .

وعندما قام الخبراء الأفذاذ في القيادة بتحليل موقف هذا الهدف .. توصلوا للآتي .. هذه الطيور تتغذى على القشريات و الأسماك .. وجسمها يمتلئ باليود .. وهو فلز أي معدن ..فضلا عن أنها كبيرة الحجم .. وتطير في تشكيل متقارب .. لذلك ظهرت على شاشة الرادار كأنها طائرتين هليوكوبتر .. ، وأما لماذا ظهرت على راداري فقط .. فذلك لأن لكل محطة رادار موجة خاصة .. وحدث نوع من السينكرون بين إشعاع الرادار عندي وأجسام هذه الطيور .. فضلا عن إن مكان محطتي كان مثاليا للتغطية على الأهداف القادمة من اتجاه البحر .!.

وقد استفاد من هذه الظاهرة .. مطوروا محطات الرادار .. في تطوير إمكانيات المحطة .. وزيادة في حصيلة التكتيكات الرادرية .. وأصبحت لدينا خبرة مضافة إلى الأجيال التالية من الضباط العاملين على هذه المحطات ..

ومما يثير الدهشة بخصوص هذه الحادثة .. أن المصمم السوفييتي العبقري .. الذي اخترع صواريخ البتشورا (سام ٣) .. قد استلهم طريقة توجيه هذه الصورايخ .. من هذه الطيور بالذات ..!.

فهذه الطيور .. تغير من اتجاه طيرانها .. عن طريق .. تحريك رأسها .. أو .. تغيير زاوية الرأس ..

وصاروخ البتشورا .. هو أول صاروخ في العالم .. يتم توجيهه .. بواسطة زعانف في مقدمة الصاروخ .. بينما باقي الصواريخ ارض / جو .. (في ذلك الوقت) .. كان يتم توجيهها .. عن طريق زعانف المؤخرة ..!.

فهل أتت هذه الطيور المهاجرة .. من شمال أوربا .. لكي تلقي التحية .. على تلك الصواريخ ..!. التي تشبهها في طريقة الطيران ..!. أم أنها مجـــرد تهيؤات ..!.

****

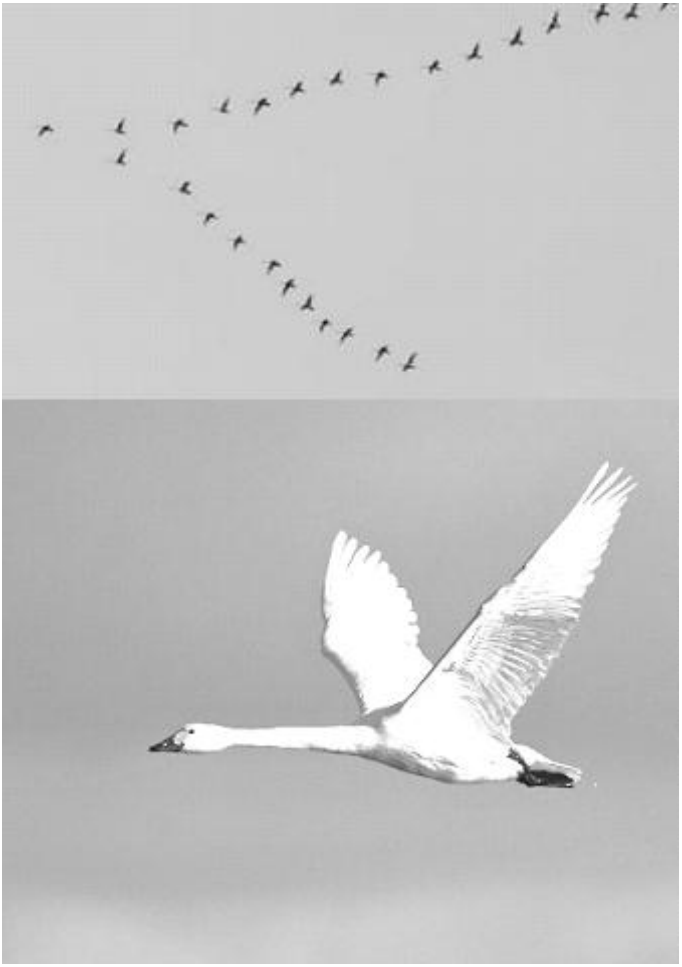

الضابط الرادرجي .. يصلح عطلا في هوائيات كابينة القيادة و التوجيه.. ويقلل زمن إعادة تجهيز الكتيبة إلى خدمة العمليات .. من ١٨ ساعة .. إلى أقل من ساعة ..!.

الزمان .. منتصف عام ٧٢ .. والمكان .. كتيبة الصواريخ ٦٥٢ دفاع جوي .. بورفؤاد ..

في ذلك الوقت .. كانت هناك حرب استنزاف .. غير معلنة .. بين الطيران الإسرائيلي .. وقوات الدفاع الجوي .. ، فكان الطيران الإسرائيلي .. يقوم بطلعات استفزازية .. يومية .. بالقرب من الحد البعيد لمرمى كتائب الصواريخ .. على جبهة قناة السويس .. حتى يجعلها .. في حالة استنفار دائم .. ويستنزف مجهودها .. ، و لكن لم يؤدي ذلك إلى نتيجة .. فقد استنزف الطيران الإسرائيلي نفسه .!. وصدق فيه .. قول الشاعر .

كناطح صخرة لم يوهنها .. وأوهن قرنه الوعل ..!.

وعند الغروب في احد الأيام .. تلقيت.. الأمر المعتاد .. للقيام بواجب خدمة العمليات .. وقام الطاقم بتشغيل المحطة .. وأعطيت تمام التجهيز .. وبدأ الرادار بتاعي في العمل .. ، ولكن ابلغني رئيس العمليات .. أن الكتيبة .. أصبحت عاطلة و خارج خدمة العمليات بسبب عطل جسيم .. في هوائيات التقاط الأهداف وتوجيه الصواريخ ..

وعندما تتعطل أي معدة .. تصبح كتلة من الحديد البارد .. ليس لها أي معنى .. وهو شعور قاتل للمقاتل .. وفي هذه الحالة .. يحتاج ضابط التخصص المعطل .. إلى أي مساعدة .. فنية أو معنوية .. ولو حتى طلب كوب شاي له من الكانتين .. حتى يمكنه التركيز .. وإصلاح هذا العطل ..

تركت دشمة المحطة .. وذهبت إلى دشمة كابينة التوجيه .. لعلي استطيع تقديم بعض المساعدة .. ، وجدت قائد الكتيبة .. وباقي الضباط زملائي .. في حالة لا توصف من الوجوم الشديد ..

سألت ايه اللى حصل يا جماعه .. اخبرني زميلي محمود فراج .. ضابط الهوائيات .. أن موتور البلاور .. الخاص بالهوائيات .. قد احترق .. ولم يجدوا بديلا له .. في مقطورة قطع الغيار .. الموجودة في قيادة التشكيل .. ولا بد من أخذ الموتور المحترق .. إلى الورشة المركزية .. لإصلاحه.. وإعادة لفه .. ويستغرق هذا المشوار .. أربعة ساعات للذهاب إلى الورشة المركزية .. ومثلها للعودة .. وتحتاج الورشة .. إلى ثلاثة ساعات .. لإصلاح و إعادة لف الموتور المحترق .. وفي هذه الفترة .. سوف تظل الكتيبة ٦٦٠ صواريخ .. في العمل بدون راحة للمعدات .. حتى يتم إعادة تجهيز كتيبتنا ..

قلت لقائد الكتيبة المقدم محمد عباس فرحات .. أني شاهدت هذا الموتور (3MO 350) .. في مقطورة قطع الغيار بالقيادة منذ أسبوع .. حينما ذهبت لإحضار تايم ريلاي .. وانه بالأمارة يوجد أربعة مواتير .. في أول صف من الأدراج بجوار الباب من جهة الشمال ..!.

عودة إلى ما حدث منذ أسبوع .. تكرر بعض المشاكل من تايم ريلاي في المحطة عندي .. فأخذت إذنا من القائد .. وذهبت للقيادة لإحضار بديل له .. وكان الضابط المسئول عن مقطورة قطع الغيار .. (وكان من دفعتي من هندسة عين شمس سنة ٧٠) .. كان محـــدود الإمكانيات .. و القدرات .. فاخذ يقلب في كتالوج قطع الغيار .. ثم قال .. مش عندي ..!. فقلت له .. الريلاي ده بالذات .. لازم يكون عندك منه .. . فقال .. المقطورة .. قدامك .. دور عليه .. ولو لقيته .. خذه .!.

صعدت إلى المقطورة .. طولها عشرة أمتار.. وتحتوي علي أعمدة من الأدراج .. من اليمين و اليسار.. وهي تتدرج في الارتفاع .. و الأدراج .. التي في آخرها .. أدراج ذات ارتفاع منخفض .. بضعة سنتيمترات .. ثم تتزايد .. حتى تصل إلى أدراج ارتفاعها أربعين سنتيمترا .. بجوار باب المقطورة .. لم ادري ماذا افعل وسط هذا الكم المهول من الأدراج .. أخذت افتح بعض الأدراج .. عشوائيا من جهة اليمين و اليسار .. وبعد فترة .. استطعت فك شفرة المقطورة ..!. إن قطع الغيار .. مرتبة حسب ارتفاعها .. ففي الأخر .. القطع ذات الارتفاع المنخفض .. يليها صمامات السيجنال ذات الارتفاع المتوسط .. يليها صمامات الباور وهي أكثر ارتفاعا .. وتأكدت من صحة توقعي .. وبحثت في الأدراج قليلة السمك .. حتى وجدت الريلاي .. فأخذته .. وقبل خروجي من المقطورة .. لمحت بجوار الباب .. أدراج ارتفاعها .. حوالي أربعين سنتيمترا .. فقلت لنفسي .. يا ترى ماذا يوجد في هذه الأدراج .. ففتحتها .. كان يوجد بكل درج .. موتور (3MO 350) .. بشحم الفابريكة .. الروسي ..!.

أبلغت الضابط المسئول .. إني عثرت على التايم ريلاي .. فلم تهتز له شعرة .. فتركته و انصرفت ..!. .

وهذا الموقف من اغرب المواقف التي قابلتني في خلال خدمتي العسكرية .. الظابط المسئول عن قطع الغيار .. يقول .. إن ما عندوش ريلاي .. وهوه عنده .. جوه ..!.

عودة إلى الكتيبة ..

سألني المقدم عباس قائد كتيبتي .. أنت متأكد يا حضرة الظابط سامح .. أن الموتور ده موجود في مقطورة قطع الغيار .؟. قلت له .. يا فندم عربية المأمورية نازلة الورشة الرئيسية في كل الحالات .. وممكن نمر على قيادة التشكيل .. ناخد الموتور .. ونرجع .. قال ..أتفضل اطلع مع زميلك ..

عبرنا بالمعدية إلى بورسعيد .. ثم إلى قيادة التشكيل .. لم أجد الضابط المسئول عن المقطورة .. ولكن وجدت نائبه الحكمدار .. شرحت له الموضوع باختصار .. و طلبت منه فتح المقطورة .. فتحت درج من أول صف من الأدراج جهة الشمال .. كان الموتور .. بشحم الفبريكه الروسي .. و بالبلاور بتاعه .. ورائحته تشرح القلب .!. في انتظارنا .. كاد ضابط الهوائيات زميلي أن يقفز من الفرحة .!. ، عدنا إلى موقعنا .. وكان سائق سيارة المأمورية .. يطلق الكلاكس .. ويشعل و يطفئ أنوار السيارة .. كأنه في زفة عروسة ..!. وكان الجنود على سطح السيارة يرقصون و يرفعون أسلحتهم عاليا ..!!.

خرج قائد الكتيبة و زملائي الضباط من دشمة كابينة التوجيه .. وهم غير مصدقين .. تقدمت من قائد الكتيبة .. وأديت له التحية العسكرية ..وقلت .. تمام يا فندم .. واحد موتور ..... (3MO 350) .. بالبلاور بتاعه و بشحم الفبريكة بتاع بلده .. جاهز للتركيب فورا .!.

دبت حالة من السرور و الابتهاج في الموقع كله .. وكانت المواقع المجاورة للمشاة و البحرية .. لا تفهم .. ما الذي يحدث في كتيبة الصواريخ ..!.

لم يستغرق تركيب الموتور الجديد إلا دقائق .. وتم تشغيل الكتيبة .. وكانت تمام التمام .. ثم اتصل قائد الكتيبة .. بقائد التشكيل .. العميد فيليب زخاري .. وابلغه بالتمام .

اندهش قائد التشكيل .. وقال لقائد الكتيبة .. لكن طاقم المهندسين عندنا .. ابلغوني .. إن الموتور غير موجود ضمن مقطورة قطع الغيار .. فقال له .. يا فندم أنا أرسلت ضابط الرادار بتاعي .. مع ضابط الهوائيات إلى المقطورة .. ووجدوا الموتور .. وتم تركيبه .. وإحنا حاليا جاهزين .. وقد تم كل هذا .. في أقل من ساعة زمن ..!.

و اتصل العميد فيليب فيليب زخاري .. بكبير مهندسي الدفاع الجوي .. اللواء مكرم .. وابلغه أنه تم إصلاح الكتيبة ٦٥٢ .. وعادت إلى خدمة العمليات .. وقد علمت في مساء نفس اليوم أن قائد التشكيل .. قد آنب كبير المهندسين .. وطاقمه .. ووبخهم توبيخا شديدا .. وأن اللواء مكرم كبير مهندسي الدفاع الجوي .. قد قام بواجبه .. تجاه كبير المهندسين .. وطاقمه .. لهذا الإهمال و التكاسل .. و بعد هذه الحادثة بعدة أيام .. قابلت احد زملائي من القيادة .. فعاتبني قائلا .. " كده ترزع كبير المهندسين .. وزمايلك الظباط .. الزنبة العجب ..!. " . ولم ادري .. ماذا أقول له ..!.

ناس قاعدة في القيـــادة .. وقلبها عليه مراوح .. وعديـــمة الإحساس بالمسئولية ..!.

والظابط المسئول عن قطع الغيار .. بيقول إن ما عندوش مواتير .. وهوه عنده أربعة .. جوه .. في المقطورة ..!.

وما زلت حتى اليوم أتخيل كبير المهندسين .. وهو يكلم نفسه .. ظابط الرادار .. يسيب دشمة الرادار بتاعه .. ويروح دشمة كابينة الصواريخ .. ليه .. إيه اللى وداه هناك أصلا ...!.؟.

****

عقوبة تكدير للنقيب الرادرجي.. تتحول إلى رحلة سفاري سياحية ممتعة ..!.

من بورفؤاد .. الى .. أبوقير .. رايح .. جاي .. صد .. رد .. عبر دلتا مصر .. الجميلة ..!.

و النقيب الرادرجي .. يكتشف عالم الألوان .. بسبب هذه الرحلة ..!.

التكدير ..أحدي العقوبات المقررة في القوات المسلحة ..، ويقصد بها تكليف المذنب بعمل إضافي مرهق .. وإسماعه فاصل من اللوم و التأنيب و التقريع .. من اللي يحرق الدم (إذا كان عنده دم ..!.) ، حتى لا يتكرر منه الخطأ ، وهي من اخف العقوبات العسكرية ، ولا تسجل في السجلات الرسمية .

في أوائل ربيع ٧٢ ، انتقلت كتيبتي (٦٥٢ صواريخ دفاع جوي) إلى بور فؤاد ، ضمن حائط الصواريخ على جبهة القناة ، وكنا نعمل ليلا ونهارا .. لا راحة .. ولا أجازات . ، وأحيانا لا نعرف الأيام من بعضها .. ، وكانت محطة الرادار بتاعتي ، ترتفع حرارتها وتسخن إلى درجة فظيعة .. لأن هذه المعدات السوفيتية .. مصممة للعمل في ظروف البرد و الجليد .. ، وكانت هي الموجودة في الترسانة السوفيتية وقتها .

وحدث ذات يوم أن احترق أحد محولات القدرة (ترانسفورمر الباور) ، وهو ليس من قطع الغيار الموجودة عندي .. و التي يمكن استبدالها ، ولا مفر من إرساله إلى ورشة مركزية .. لإعادة لفه من جديد .. وهذه المسألة تستغرق ربما يوما أو أكثر.. وعندما تتعطل أحدى المعدات .. تتحول إلى كتلة من الحديد البارد .. فبدلا من أن تقوم بالدفاع عن منطقة معينة .. يصبح على باقي زملائها الدفاع عنها .. وهو شعور قاتل .. للمقاتل .. إذ يحس أن ليس لوجوده أي معنى .. حتى يتم إصلاح العطل .. وكان عندي في المحطة .. جهاز اسمه (المحاكي) يستخدم في التدريب .. لتوليد أهداف زائفة على شاشة الرادار ، وذلك لتدريب أطقم المحطة ، وهذا الجهاز كان لا يعمل منذ أن وصلنا للجبهة ، وكلفنا بواجب عمليات مستمرة ، وكان به محول مماثل للمحترق .. فقررت خلعه من المحاكي وتركيبه مكان المحترق .. وبعدها يتم إرسال المحترق إلى ورشة الإصلاح على مهل.. ذهبت لأبلغ قائد كتيبتي المقدم محمد عباس فرحات .. بأني اصلحت العطل .. وجاهز لاستئناف خدمة العمليات ..، وفرح قائد الكتيبة جدا وتناول سماعة التليفون .. لإبلاغ القيادة .. بأننا جاهزين .. ، وطالت المكالمة جدا وأخذ وجهه يتجهم ..

وقال لي " حتروح بنفسك .. لورشة الإصلاح .. وتقعد ساعتين لغاية لما يصلحوا المحول المحروق ويلفوه تاني ..وترجع بيه .. قلت له " يا فندم مش ممكن ابعته مع جندي من الطقم ..أو حتى واحد من الحكمدارية .؟. " ، قال " لأ .. كبير المهندسين بيقول لازم تروح بنفسك .. لأن كان لازم تاخد إذن الأول قبل ما تفك المحول .. من المحاكي .. " .

قلت له " يا فندم كده تكدير .. المحاكي .. مش شغال .. من ساعة ما وصلنا لبورفؤاد .. واخدنا واجب عمليات مستمرة .. وأنا اللى كنت متوقع شكر .." .

قال " انت عارف أن كبير المهندسين ..حاططـــــك في دماغه ..أنت وفلان وفلان .."." قلت " والورشة دي فين يا فندم ..؟. قال " ورشة ابو قير .. " . قلت " طيب ملقاش ورشة في ليبيا .. بالمرة ..؟.

ضحك قائد الكتيبة وأخذ يفكر قليلا ، وكان قائدا فذا محنكا وموهوبا في القيادة ، ويعرف كيف يداوي جراح العاملين تحت قيادته . ثم قال : ليه بتبص للموضوع على إنه تكدير .. يا حضرة الظابط سامح .. حتتفسح من بورفؤاد لغاية ابوقير تشوف الدلتا كلها .. رايح جاي .. وتشم هوا .. على حساب الجيش .. لا نبطشيات ولا قلق .. وتشوف زميلك قائد الورشة .. وترجع لنا بالسلامة .. يا راجل ده أي ظابط يتمنى يطلع المأمورية دي .. ".

كان كبير المهندسين .. في التشكيل .. يترصد لي .. على أي هفوة .. بعد أن تلقي فاصل محترم من اللوم و التقريع .. من كبير المهندسين في الدفاع الجوي .. (وربما تلقى عقابا أيضا .. وأنا لا اعلم ..؟.) .. بسبب اكتشافي

لموتور الهوائيات في مقطورة قطع الغيار .!. بينما الضابط المسئول عن قطع الغيار .. كان ينفي وجوده .. بسبب إهماله في البحث عنه .. (وقد شرحت ذلك في المقالة السابقة) .. ولذلك تلكك لي .. وقام بتكليفي شخصيا بهذه المهمة .. كنوع من التكدير ..!.

واحتكم الأمر ..لا مفر من المأمورية ، وكان قائد هذه الورشة النقيب ابو السعود من المهندسين الأفذاذ .. كان بالإختصار .. راجل مجدع .. و كان زميلي في الكلية وسبقني في التخرج ودخول الجيش بعام ، وأصبح ضابط صواريخ .. دفنا (سام ٢) . وأصيب في حرب الاستنزاف في ساقه إصابة بليغة ، غير أنه رفض الإعفاء من الخدمة لإصابته ، فعينوه قائدا لهذه الورشة قال لي القائد " سوف اطلب من المسئول عن كتيبة النقل .. أن يعطيك ..أحسن عربة عنده .. وأحسن سواق عنده " . (والسفر في هده المـــأمورية كان من مسئولية قيادة التشكيل).

أخذت أراجع الرحلة علي الخرائط عندي .. ، سوف يكون خط السير كالآتي (بورفؤاد - بورسعيد - دمياط - شربين - بلقاس - بيلا - كفر الشيخ - دسوق - فوه - ادفينا - رشيد - ابوقير) ثم العودة بالعكس .. يا لها من رحلة لم تكن على البال أوالخاطر..!.

ووصلت سيارة المأمورية .. كانت كراز (٢٥٥ معدل) وبشحم الفابريكه الروسي .!. وهي سيارة مهمات للنقل الثقيل .. حمولتها خمسة عشر طنا ويمكن أن تقطر مثلهم .. ولكن سرعتها لا تزيد عن خمسين كيلو في الساعة ..عندما تكون غير محملة لأنها تتقافذ مثل العصفورة على الطريق .!. ، والسائق كان من امهر سائقي العمليات ، هؤلاء السائقين ينقلون الذخيرة .. و يقودون ناقلات الصواريخ و الردارات والأوناش و المعدات الضخمة ،

ويلمون بكل طرق الدلتا و الجبهة .. ويعرفون أماكن التشكيلات المختلفة . وكان السائق قد تلقى تلقينا بمدى أهمية مأموريته .. نزل من السيارة وأدي لي التحية العسكرية ، وقال " إن شاء الله يا فندم .. نروح ونرجع بأقصى ســـرعة علشان محطة الرادار ما تقعدش عطـــلانه كتير.." .

قلت له " عطلانه فين يا حضرة الصول .. ماهي قدامك شغالة اهية .. " .. وأشرت الى المحطة التي كانت تعمل .. ذهل الرقيب السائق .. ، فشرحت له الموقف بإختصار .. فأفلتت من فمه جملة " ده كبير مهندسين أبن (وس **.!.) " ..، ثم تدارك نفسه وأحس إنه أخطأ .

فقلت له " لأ قولها يا حضرة الصول .. أنا قولتها قبلك .." . وانطلقت بالسيارة .. أنا و السائق الرقيب جمعة .. وكان ذلك في العاشرة مساء تقريبا .عبرنا بالمعدية من بورفؤاد الى بورسعيد ..، ثم انطلقنا إلى دمياط .. وبلغناها قبل منتصف الليل تقريبا .. كانت دمياط الجميلة قد خلدت إلى النوم .. وكنت أنا اغفو ثم استيقظ على رجرجة السيارة .. وكان السائق ينبهني كل فترة .. داخلين على شربين .. داخلين على بلقاس .. داخلين على بيلا .. احنا في كفر الشيخ دلوقت .. وهنا أصبحت في كامل الانتباه .. لقد بدأت بلاد الدلتا الجميلة تستيقظ .!. وراح ضوء الفجر الذهبي يغمر الحقول .. ، مررنا بمزارع ادفينا كانت شجيرات الباميه ..تنتظم في خطوط مستقيمة .. إذا ما نظرت إليها من أي زاوية .. ما أروعك أيها الفلاح المصري .. ، وصلنا إلى رشيد وتناولت إنا و السائق الإفطار و شربنا الشاي وانطلقنا إلى الورشة في ابو قير . أخذني النقيب أبو السعود بالأحضان " .. يعني يا ابو السماح ماشوفكشي الا

في المصايب .!. هوه ايه اللي حصل .. الشرطة العسكرية جابتنا من بيوتنا أنا و الأسطوات ..من الفجر .!. " .

شرحت له الموقف بأختصار ..، فتملكه الغيظ .. وأضاف ده كبير مهندسين ابن (***) .

قلت " اصله حاططني في دماغه أنا وكام ظابط .. يظهر أن أنا كان لازم آخد إذن .. من موشي ديان و جولدا مائيير .!. علشان اركب الترنس بتاع المحاكي مكان ترانس الباور المحروق ..!." .

أطلعته على أمر المهمة الذي معي وضرورة أن أكون على باب الورشة في طريقي للرجوع .. بعد ساعتين من دخولي .. ضحك هازئا وقال " هوه فاكر أن الورشة دي .. بتاعت أمه .!. ، انا بقي اصلح الترنس ده .. في خمس ساعات .. واللي مش عاجبه ييجي يشغل الورشه مكاني .!. " .

قلت له " أهم حاجة عندي ..السواق يرتاح .. " .

قال "عيب يابو السماح .. انه حابعته الاستراحه بتاعتي .. ولك عندي أنت و هوه اكلة سمك من ابوقير ما حصلتش .. " انهمك الأوسطوات في فك المحول المحترق .. تمهيدا لأصلاحه وإعادة لفه .. ورحنا نتجاذب إطراف الحديث ..

قال " صحيح من عندك في بور فؤاد .. بتشوف المطارات اللي في سينا" قلت " الرادار بتاعي ..بيجيب مطارات العريش و السر و المليز .. وارض هبوط في بير تمادا .. ولو فتحت على الماكسيمم .. ممكن اجيب مطارات رماد عكير و بن جوريون و راس النقب .. بس أنا عندي أوامر اشتغل على ١٠٠

كيلومتر فقط .. اتغديت أنا و النقيب ابوالسعود والرقيب جمعه ..السائق .. أحلى غدوة متينة من البوري المشوي و الجمبري .. ، وتبادلنا تحية الوداع انا وابو السعود .. مين عارف حنتقابل تاني امتي ..، آخر مره شفته كانت سنة ٦٩ واحنا في كلية الهندسة .. وانطلقت أنا و الرقيب جمعة على الطريق لم اترك بلدة في طريق عودتي إلا وشربت فيها شاي أو عصير قصب أو أكلت رغبف كفته وطرب ..!. أنا و السائق .. وصلنا إلى رشيد ثم تجاوزناها إلى ادفينا ثم فوه ثم دسوق .. في دسوق .. كان يجري الاستعداد لمولد العارف بالله سيدي إبراهيم الدسوقي .. ، نزلت أنا و السائق للتجول في إنحاء السوق الشعبي المجاور لساحة الجامع .. ، كانت هناك عربة يد قد ثبتت عليها إطارات مربعة .. وتتدلى منها و ترفرف في الهواء .. العديد من مناديل الرأس النسائية (الآويه) .. والتي تخطف الأبصار .. واستوقفني البائع الريفي البسيط .. وأخذ يعدد لي هذه الألوان .. هذا تانجو .. وهذا دم الغزال .. وهذا سمنجوني ..ثم شاهدت عند بائع بجواره .. ملأت للسرير .. محلاة بأقلام طولية وعرضية ملونه ..ازرق و اخضر .. وقال لي البائع أن اسمها ملايات .. جنجنان .. وأشتريت حلاوة طحينية شعر .. من التي تشتهر بها مدينة دسوق ..وانطلقت أنا و الرقيب جمعة .. لنستكمال رحلة العودة .. ...ولمدة سنين طويلة ..عندما كنت أتذكر هذه الرحلة .. كنت أتذكر الألوان التي سمعتها في دسوق .. (تانجو .. سمنجوني .. جنجان ..) ..وأقول لنفسي .. من أين آتي هؤلاء البسطاء .. بهذه الأسماء .؟. وعندما تجمعت عندي العديد من أسماء الألوان ..التقطتها من الشارع المصري .. قررت عمل كتاب يضم أسماء الألوان .. وقمت بجمع العديد من الموسوعات و المعاجم .. لبحث أصول أسماء الألوان .. واكتشفت ..أن التانجو .. هو لون صبغة مشهورة و معروفه عالميا ..وتنتجها الكثير من الشركات الاوروبيه مثل (مكفرسون و

هيجينيك هدســــــــون و كوردابانتس) ..وأن (السمنجوني) .. هي كلمه فارسية الأصل ولكنها شائعة في ريف مصر لوصف لون زرقة السماء .!. وقد دخلت اللغة العربية و اعتمدها المجمع اللغوي للغة العربية ..نظرا لشيوعها و انتشارها .. وأن (جنجان) هي كلمة ماليزية الأصل وتطلق على المنسوجات التي تحتوي على أقـــــــلام طولية و عرضية ملونة .. وقد كانت شائعة أكثر في دول الخليج و تستخدم كمئزر للنصف الأسفل من الجسم ..... وما زلت حتى الآن .. أقول لنفسي .. لو أن كبير المهندسين .. لم يكدرني بهذه الرحلة .. هل كنت سوف أقوم بتأليف كتاب (معجم أسماء الألوان حسب التسميات المصريةو العالمية)..!؟.

...لست أدري .!..

****

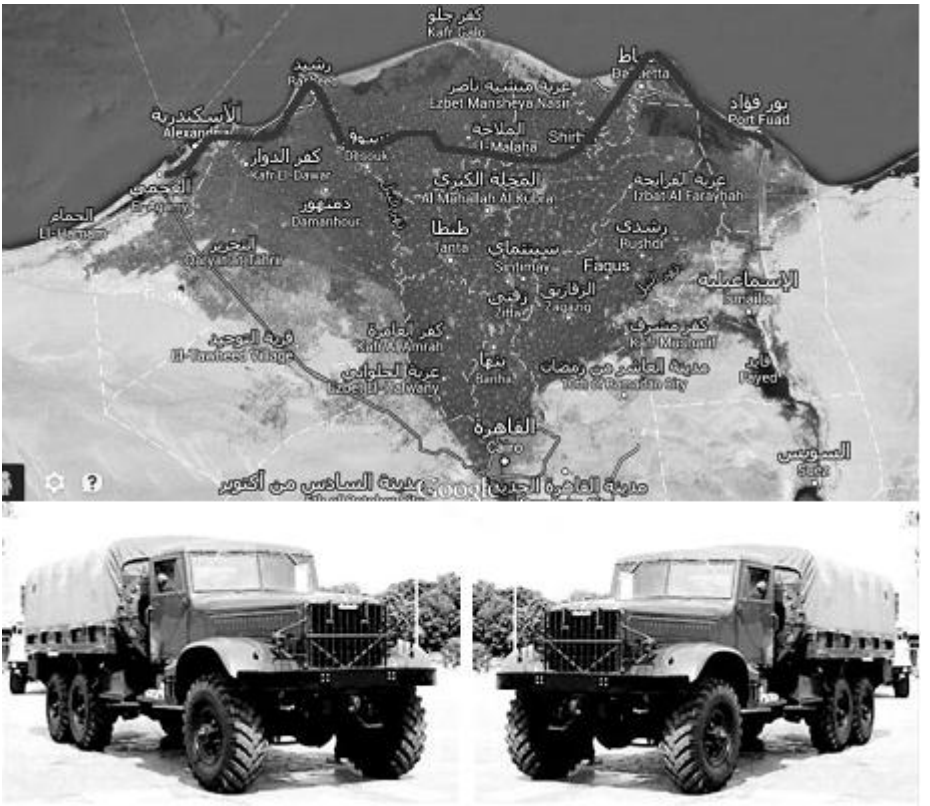

الرادرجي .. يتذكر .
الزمان .. صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . و المكان .. الكتيبة ٦٥٢ صواريخ بورفؤاد ..

من كان يعلم .. ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر .. ؟.

هذا اليوم كان آخر يوم في المشروع التدريبي الشامل للقوات المسلحة .. لهذا العام .

وفي العام السابق في نفس التوقيت تقريبا .. كان هناك مشروع تدريبي مماثل .. وانتهى .. بدون أي عمليات قتالية ، وفي كل مرة ..كانت إسرائيل ترفع حالة الاستعداد إلى درجة التأهب القصوى .. ثم تنتهي المسألة إلى .. لا شيء .. واقتنعت إسرائيل أن مصر لن تحارب ..

في أواخر سبتمبر عام ٧٣ .. قبل المشروع التدريبي .. كان على ضباط الرادار ..التوجه الى قيادة التشكيل ..لاستلام أوامر العمليات .. وهي مجموعة من المظاريف الصغيرة في حجم الكف .. مكتوب فيها أوامر عمليات القتال .. وكل مظروف عليه كلمة أو أسم مثل (باريس ـ مدريد ـ تونس) . وتخيط هذه المظاريف بالخيط وتختم بالشمع الأحمر بخاتم ضابط الاتصالات.. وعندما تريد القيادة إصدار أمر معين إلى ضابط الرادار .. في حالة عمليات القتال.. فإنها تصدر إليه أمرا من كلمة واحدة هي (مدريد) مثلا .. فيفتح الضابط المظروف المكتوب عليه (مدريد) فيجد أمر العمليات .. ويقوم بتنفيذه .. ثم يعطي التمام بالتنفيذ ..

وفي العام ٧٢ .. تسلمت مجموعة مظاريف أوامر العمليات .. ثم أعدتها إلى القيادة ..بعد انتهاء المشروع .. دون أن تفتح .. حسب التعليمات .

وفي يوم ٤ يونيو ١٩٧٣ .. زار موقعنا الرئيس أنور السادات .. ومعه المشير احمد إسماعيل .. وشاهد استعدادات الكتيبة .. وجلس معنا نحن الضباط في دشمة القيادة .. لكي يرفع من روحنا المعنوية .. وتحدث معنا .. حديث الأب إلى أبناؤه .. وليس حديث القائد الى ضباطه ..، وسأله ساعتها زميلنا النقيب محمد الزنوكي .. قائد سرية النيران (تعمير الصواريخ) .. حنحارب امتى بقى .. يا ريس .. ، فرد بهدوئه المعتاد .. الحرب يا ولادي .. جايه قريب .. اقرب مما تتخيلو ..

في مساء يوم ٥ أكتوبر .. كـــانت مناوبتي أالليلية للمرور على الخدمة (الحراسة الليلية) .. فقمت بالمرور على الموقع .. ثم اتجهت الى موقع المدفعية (١٤,٥ مم) المجاور لنا لإلقاء التحية على الضابط نبيل .. قائد هذا الموقع .. ، شاهدت عنده مجموعة جديدة من الضباط والجنود الأشداء من قوات الصاعقة وكانوا يتأهبون للنوم .. في أي مكان على الأرض .. فقدمني لهم .. ظابط الرادار في كتيبة الصواريخ اللي جنبنا ..

قلت للضابط نبيل .. أيه البخل بتاعك ده .. يا أخي .. مش تطلع علبة السجاير .. وتعزم على الضيوف .. ولا تطلب لهم دور شاي من الكانتين ..

فأصطحبني بعيدا عن الموقع .. وقال لي هامسا .. دول مش عايزين حاجه ..غير أنهم يناموا و يرتاحوا .. دول حضروا في المشروع .. السنه اللي فاتت .. لكن السنه دي .. جايين ومعاهم .. بيارق (اعلام و رايات كبيرة) .. قلت له معقول يا نبيل حنحارب بكره .. وحا يرفعوا البيارق دي ..على خط بارلييف .. قال كل شيء جايز ..

هؤلاء الأبطال .. هم الذين استولوا في اليوم الثاني (٦أكتوبر) ..على النقاط الحصينه في خـــــط بارليف (لاهتزانيت ـ اوركال ـ بودابست) (الكيلو ١٩ ـ الكيلو ١٠ أو رأس العش ـ نقطة طريق بورفؤاد العريش)

عودة الى صباح يوم .. ٦ أكتوبر .. مضى الصباح عاديا .. وفي الساعة الثانية عشرة .. جاءنا أمر ..بانتهاء المشروع التدريبي .. وانتهاء حالة خدمة العمليات .... قلت لنفسي .. أهكذا ينتهي كل شيء .؟.

انشغلت ببعض الأمور الإدارية .. وبعدها طلبت من قائد الكتيبة الإذن بالذهاب إلى قيادة التشكيل .. لإعادة مظاريف العمليات .. فقال لي " مستعجل على أيه .. اصبر شويه ..!. " .

كانت المسألة بالنسبة لي .. نزهة .. سوف استقل السيارة وأعبر بالمعدية إلى بور سعيد .. وهناك ســـوف أقابل زملائي في القيـــادة .. و أعرف آخر الأخبار .. وأتفسح في شوارع بورسعيد.

وفي الساعة الثانية ظهرا كنت إنا ومجموعة من زملائي الضباط واقفين في الموقع مع بعض الجنود نتحدث عن وضع الأجازات .. وإذا بصوت .. كالرعد .. و ظهر إمامنا و فوق رؤوسنا .. على ارتفاع منخفض جدا .. سرب من حوالي عشرة طائرات ميج و سوخوي .. متجهة من الغرب الى سيناء .. أخذنا نصيح ونلوح بأيدينا لهم .. لفت نظري أن في منصف السرب .. طائرة .. ميج ١٧ .. أول طائرة نفاثة في سلاح الطيران المصري .. قلت لنفسي .. وحتى الميج ١٧ .. طالعه تاخد بتارها ..هيه كمان .. وقد قام قائد هذه الطائرة .. بإمالة جناحي الطائرة إلى الأعلى ثم إلى الأسفل .. وهي حركة للتحية في عرف الطيران .. ويا ريت من يعرف هذا الطيار ..أن يرد اليه تحيتي العسكرية أنا و كتيبتي .!.

أسرعت إلى المحطة .. وقمت بتشغيلها .. بدون انتظار لأي أوامر .. كانت أول مرة أشاهد على شاشة الرادار طائراتنا فوق سيناء .. وأول مرة أسجل في دفتر المحطة .. طائرات بيضاء فوق سيناء .. ، والطائرات المعادية .. تظهر على شاشة الرادار مثل نقطة .. نعطيها رقما .. و نتتبع إحداثياتها .. ويطلق عليها .. خط اسود .. (اختصار : خط سير هدف معادي) .. أما طائراتنا .. فتظهر .. نقطة وخلفها قوس صغير .. نعطيها رقما ونطلق عليها ..

خط ابيض .. ، وكانت هذه أول خطوط بيضاء في سيناء تسجل في دفتر المحطة .. منذ وصولنا إلى بورفؤاد وقد احتفظت بهذا الدفتر .. ولا زال عندي حتى اليوم ..!!..

كنت أعرف من مواقع الطائرات على شاشة الرادار .. أنها تقصف مطارات العريش و المليز .. وهذه تقصف مراكز التنصت في أم مرجم ، أم خشيب .. وكنت اهتف " ادوهم على دماغهم ولاد الذينه .." ..وكأنهم سوف يسمعوني .!. وحينما استدارت الطائرات عائدة .. خرجت من الدشمة جريا .. لكي أراهم بالعين المجردة .. وصحت في الرجال .. كلهم رجعوا يا رجالة .. فردوا .. " كلهم يا فندم " .

لقد كانت خطة حرب أكتوبر .. خطة عبقرية .. بمعنى الكلمة .. وبعض أبعادها .. لم اعرفه إلا بعد انتهاء خدمتي العسكرية ..!. حين قرأت مذكرات القادة العظام الذين خططوا لهذه الحرب..

وقد استفادة قيادات التخطيط .. من الفكر التآمري السوفيتي ..!.

في أواخر الستينات .. ظهرت حركة إصلاحية في تشيكوسلوفاكيا .. سميت (ربيع براج) قادها الكسندر دوبتشيك .. وأعلن تحفظه على سياسات الإتحاد السوفييتي .. ولم يكن هذا مسموحا به بأي حال .. من الاتحاد السوفييتي .. فقررت وأد هذه الحركة الإصلاحية .. وفي عام ١٩٦٨ قامت بعمل مناورة كبيرة لحلف وارسو في دول أوروبا الشرقية .. وفي لحظة الصفر .. وحين كانت كل القوات في مراكزها المناسبة .. قامت بانقلاب .. واعتقلت الاصطلاحيون كلهم .!.

كانت هذه هي الخطة الرئيسية لحرب أكتوبر .. مناورة أو مشروع تدريبي .. ينقلب في اللحظة الملائمة .. إلى الحرب الشاملة .. وكل ضابط أو جندي في الجيش المصري .. كان له واجبه الذي تدرب عليه .. وعليه القيام به حتى آخر نفس .. وليس مطلوبا منه أن يشغل باله بالقيادات الأعلى .. بل عليه أن يوليهم كل الثقة .

****

الرادرجي وحيدا .. في سيارة معطلة .. على طريق مهجور ..
و وجبة ريفية من الفطير المشلتت .. لم تكن على البال .. أو الخاطر .!.
و .. يعيش اهل بلدي .. يعيش .. يعيش .. يعيش ..!.

الزمان .. أوائل عام ١٩٧٢ .. و المكان .. طريق فرعي مجهول .. في دلتا مصر ...

في ذلك الوقت .. كانت كتيبتي .. في مرحلة .. تحريك كتائب الصواريخ البتشورا .. من جنوب الصعيد .. إلى وسط الدلتا .. تمهيدا لدفعها إلى جبهة قناة السويس ..

وفي يوم قارص البرودة .. وكنا قد انتقلنا إلى موقع بالقرب من المنصورة .. و قد أتممنا تجهيز الكتيبة .. وعملنا لمدة يوم ونصف .. بدون أي توقف .. أو أي راحة .. ، كانت نوبتجية محطتي تنتهي في الساعة التاسعة صباحا .. وكنت أتمنى أن احصل على قسط بسيط من النوم أو الراحة .. حين استدعاني قائد الكتيبة .. إلى دشمة القيادة ..

قال .. محطة الرادار بتاعت زميلك (فلان) .. عطلانه .. ومطلوب منك .. تروح تساعده ..

قلت .. يا افندم .. أنا تعبان .. ٣٦ ساعة .. واقف على رجلي .. ومن حقي بعض الراحة ..

قال .. كلنا تعبانين .. وبعدين زميلك .. دماغه قفشت .!. ومش عارف يظبط محطته ..

قلت .. يا فندم .. زميلي ده .. دماغه .. قافشه على طول .!. وما ذنبي .. لكي اعمل شغله.. إحنا اتخرجنا في نفس الوقت .. دخلنا كلية ظباط الاحتياط في نفس الوقت .. أخدنا فرقة الرادار مع بعض وهوه أول ما يكون عنده عطل .. دماغه بتقفش .. على طول .. زائد أن الإصلاح من مسئولية الرائد (محمود) .. هوه ظابط إصلاح رادارات الفرقة ..

قال .. الرائد محمود .. قدامه أربع ساعات .. علشان يوصل للموقع .. أنت ممكن توصل في ساعة .. والعطل ياخد منك .. اقل من ساعة .. وترجع بالسلامة .. في حين أن الرائد محمود .. حيكون .. لسه في الطريق .. زائد أن محطتك حا تفضل شغالة .. لغاية لما محطة زميلك تتصلح ..

احتكم الأمر .. ولا مفر .. .. وصلت سيارة من سرية النقل التابعة للقيادة .. لنوصيلي إلى موقع زميلي .. كانت سيارة نقل ثقيل .. موديل كراز ٢١٤ .. متهالكة .. أكل عليها الدهر وشرب ..!.

راحت السيارة تسير و تترجرج .. حتى وصلت الى موقع زميلي ..

قابلني رئيس العمليات .. وكنا نعرف بعضنا .. من أيام ما كنا في الصعيد .. رحب بي .. وقلت له .. من فضلك يا أفـــندم مش عايز أشوف زميلي (فلان) .. أحسن أفرغ في دماغه اللى قافشه .. دفعة رشاش .!. يمكن .. تفك و تشتغل .. ابتسم الرجل .. وقال .. هوه راقد تعبان .. والبركة فيك .. ذهبت الى المحطة .. ورحب بي الطاقم ..

كان العطل ..(ميستيون) .. فقد اختل التوليف بين المرسل و المستقبل .. وحين حاول الزميل إعادة توليفها .. تحرك بالتوليف في الاتجاه العكسي .. فأضاع التوليف نهائيا ..

خلال نصف ساعة .. تمكنت من إعادة توليف المحطة .. وكان بجواري بعض الضباط من الزملاء .. ثم طلبت من رئيس العمليات الانصراف .. ، بينما طلب مني الضباط ..أن أتناول معهم طعام الغداء في الميس .. ،

قلت لرئيس العمليات .. يا أفندم .. مش عايز حاجة .. غير أني ارجع كتيبتي .. انااام ..انااااام .!. فسمح لي بالانصراف .. بعد أن أعطي التمام للقيادة ..

انطلقت بالسيارة عائدا إلى كتيبتي .. ثم خطر على بال السائق المتفلسف .. أن يسير في طريق فرعي صغير .. ظنا منه أن ذلك يختصر المسافة .. كان طريقا فرعيا غير ممهدا .. وكانت السيارة ترتج و تترجرج .. وبعد أن سرنا

فيه لفترة .. إذا بصوت إنفجار قوي .. ثم توقفت السيارة .. نزلت من السيارة لاستطلاع الأمر .. كان خرطوم الهواء لفرامل العجلة الأمامية اليمني ،، قد انفجر .. وفرغ خزان الهواء .. فتوقفت السيارة ..بحث السائق حوله على الأرض .. عن قطعة من الخشب .. وهذبها بالمطواة .. وحشرها في مدخل خرطوم الهواء .. وراح يدق عليها بحجر .. ولو تمكن من غلق هذا المدخل .. فيمكن للسيارة أن تسير .. ولكن عند استخدام الفرامل .. سوف تنحرف السيارة إلى اليسار .. مش مهم .. ممكن أن نسير بسرعة بطيئة حتى نصل إلى مكان مأهول .. وبعدها نتصرف ..

أدار السائق موتور السيارة .. وقبل أن يمتلئ خزان الهواء .. اندفعت قطعة الخشب من مخرج خرطوم الهواء .. مثل الرصاصة .. ولم تفلح هذه العملية ..

كان الطريق خاليا تماما وسط الحقول الزراعية .. ويخلو من المارة ..أو أي نوع من الحياة .. واقرب منزل كان على مسافة سبعين متر ..

قلت للسائق .. ارجع بالخطوة السريعة .. لغاية آخر نقطة شرطة عسكرية .. عدينا عليها .. أو أقرب وحدة عسكرية .. وأطلب نجدة من عندهم ..صعدت إلى كابينة السيارة وأغلقت الزجاج .. ورحت أغفو .. ثم استيقظت على صوت طرق على زجاج السيارة .. نظرت وجدت رجلا عجوزا عليه إمارات الوقار و الهيبة .. يرتدي الملابس الريفية وفوقها عباءة .. وهو يطرق على زجاج السيارة .. بالعصا التي كان يحملها في يده .. فقدرت إنه قد يكون عمدة القرية .. نزلت إليه من السيارة المرتفعة .. قلت له .. .. فيه حاجة يا آبا الحاج ..؟!.

قال .. يا حضرت الظابط .. من تلات ساعات و العربية واقفه .. مش محتاج أي مساعدة ..؟.

قلت .. تشكر يا آبا الحاج .. العربية عطلانه .. وأنا أرسلت السواق .. يطلب نجده ..

قال .. طيب كل لك لقمة .. على ما قسم يا أبني ..

نظرت .. فوجدت بجواره صبية .. تحمل صينية نحاسية مغطاة بالشاش الأبيض .. لم ادري ماذا أقول .. شكرت الرجل بكلمات مرتبكة .. وحملت الصينية وصعدت إلى السيارة .. ورفعت الشاش .. وجدت .. نصف فطيرة مشلتته مطوية و من الحجم العائلي الكبير .!. وطبق من الصاج به بعض الجبنه القديمة .. وثمرتان من الطماطم ..!. وكوز كبير من الماء .. كانت الفطيرة دافئة .. ويسيل منها الزبدة الفلاحي وشهية .. بدرجة لا تصدق .!.

أكلت .. وحمدت الله على نعمته .. وأخذت أفكر .. لقد فقدت إحساسي بالزمان و المكان نهائيا .. من الإجهاد و التعب .. أين أنا الآن .. أنا على طريق فرعي غير ممهد .. وغير مطروق .. في طريقي إلى المنصورة .. ولا ادري .. هل تجاوزنا مدينة المحلة الكبرى .. أم لا .؟. وهل نحن بجوار مدينة السنطه .. هذه المدينة .. التي ولد بها جـــــدي و أجداده .. وعاش بها جدي .. وأنجب عمي و والدي و عماتي .. وما سر الارتياح الغريب الذي شعرت به .. نحو هذا الرجل العجوز .. لعلة عمدة القرية التي تعطـــلت السيارة بقربها .. إنه يشبه جـدي و والدي وعمي .. أأكون بجوار هذه المدينة .. مسقط رأس عائلة أبي و جدي .. أني لم ازور هذه المدينة .. في حياتي من قبل ..هل تجمعنا رابطة الدم .. وأنا لا أدري .. وهل فعلا .. الدم .. يحن إلى الدم ..؟.

أفقت من تأملاتي .. على وصول السائق المتفلسف .. وهو يلهث .. ويحمل خرطوم هواء جديد .. وبعد أن التقط أنفاسه .. اتجه إلى مقدمة السيارة ،، لكي يخلع الخرطوم القديم .. ويركب الجديد .. ، ولكنه التفت إلى قائلا .. لكن يا فندم .. العربية .. ما فيهاش صندوق عدة ..!.

صحت فيه .. بالذمة .. فيه سواق يطلع بعربيه .. من غير ما يكون معاه صندوق عده .؟.

قال .. يا افندم .. انا كنت متعين سواق نبطشي .. وقائد سرية النقل .. قال لي أطلع المأمورية .. بالعربية دي .. وأنا طلعت ..!.

قلت له .. يخرب بيتك .. على بيت قائد سرية النقل بتاعتك .. في يوم واحد .!.

كان قد تجمع حولنا بعض الشباب و الصبية من القرية .. فتدخل احد الشباب قائلا .. يا حضرة الظابط فيه جنبنا هنا ميكانيكي .. ممكن نروح نجيب لسعادتك .. اللي أنت عايزه ..

إن إيقاع الحياة .. في الريف .. متأني .. وغير متسرع .. بخلاف إيقاع الحياة في المدينة .. وأبناء الريف لديهم .. الكثير من الأناة و الحلم .. بخلاف المتصربعين .!. أمثالي من سكان المدن .. وعبارة " فيه ميكانيكي جنبنا ".. معناها .. إنه يبعد نصف ساعة على الأقل عن هذه القرية .!.

قلت للسائق .. روح معاهم بالخطوة السريعة .. هات طقم مفاتيح بلدي .. ومفتاح فرنساوي .. على سبيل الاحتياط .. ، وراح السائق ومعه بعض شباب القرية .. في مظاهرة حاشدة .!. لإحضار العدة المطلوبة ..

رحت أتمشى حول السيارة .. محاولا اكتشاف المكان .. ولاحظت أن بعض الصبية من شباب المدارس .. يتهامسون .. ويشيرون إلى الرشاش الكلاشينكوف الذي احمله ..

ابتسمت .. وقلت لهم .. بكره .. لما تخلصوا تعليمكم .. وتدخلوا الجيش .. حا يبقى معاكم رشاش .. زي اللي معايا ..!.

رحت أفكر ثانية .. عن الظروف التي أوصلتني الى هذا المكان .. فكرت أن اسأل الشباب " هيه السنطة .. بعيدة عن هنا .." ، ولكني تراجعت .. حتى لا أبدو جاهلا في نظرهم ..!.

..... ووصل السائق الفيلسوف .. ومعه العدة اللازمة.. وتم تركيب الخرطوم الجديد .. وانطلقنا بالسيارة ..

وصلت إلى كتيبتي .. بعد الغروب .!.. دخلت إلى رئيس العمليات .. وأديت له التحية العسكرية .. ووضعت أمامه خرطوم الفرامل المنفجر ..

قال .. أتأخرت ليه .. يا حضرة الظابط سامح .. إحنا كنا قلقانين عليك .. وعمالين نسأل عليك في المستشفيات و الوحدات الصحية .. قلنا يمكن يكون تعب .. والسواق وداه عيادة .. أو مستشفي .. ، شرحت له الموضوع باختصار .. وختمته قائلا .. " يا افندم .. ده لو سرية النقل .. بتنقل شوال فول .. والا شوال عدس .. كانت طلعت له عربية .. أحسن من اللي كانت معايا ..!.

تدخل أحد الزملاء مداعبا .. لتلطيف الجو قائلا .. " وإحنا ما نعرفش نعيش .. من غير الفول و العدس ..!. " .

وقال آخر .. " كنا حنطلع عليك المنادي .. في العزب و الكفور اللى جنبنا .. ينادي .. رادرجي .. تايه .. يا أولاد الحلال .." ..!.

قال رئيس العمليات .. أتفضل يا حضرة الظابط سامح .. روح الميس .. كل لك لقمة .. وأرتاح .. زي ما أنت عايز ..

قلت .. يافندم .. أنا ارتحت .. ونمت .. وأكلت في السكة .. ومش محتاج حاجة

وبعد أن انتهت مدة خدمتي العسكرية .. أرسلني صاحب الشركة التي كنت أعمل بها .. لمعاينة أحد المصانع المعطلة .. على وجه السرعة .. بالقرب من مدينة سمنود .. ومنحني سيارته الخاصة .. فولفو آخر موديل .. وبالتكييف .. وبسائقه الخاص .!. وقد فكرت .. أن ابحث عن هذه القرية .. لأني كنت بالقرب منها.. ولكن بعد أن انتهيت من العمل .. كنت قد نسيت كل شيء عن هذا الموضوع ..

.. ولكن هل صحيح أن الدم يحن ..!. اعتقد أن هذا القول .. صحيح .. بدون أدنى شك ..!.

و .. يعيش أهل بلدي .. بعيش .. يعيش .. يعيش ..

****

الرادرجي .. يتذكر ..

الضابط الرادرجي .. يؤدي الامتحان .. بدلا من زملاؤه ..!.
من أجل تحسين تقييم الأداء القتالي لكتائب الصواريخ ..!.

الزمان .. ربيع عام ١٩٧١ ، والمكان .. صحراء جنوب الصعيد .

في بداية عام ١٩٧١ ، تم تشكيل عدد من كتائب الصواريخ بتشورا (سام ٣) ، وكانت تتمركز في جنوب الصعيد ، وكان يعمل بها طاقم من الخبراء السوفييت مع الطاقم المصري ، وذلك في مرحلة تدريبية لرفع الأداء القتالي لها ، قبل دفعها الى الجبهة .

وبعد انتهاء فترة التدريب الأساسية ، كان من المقرر إجراء تقييم للأداء القتالي بواسطة الخبراء السوفييت .

ودرجة تقييم الكتيبة من خمسة ، وتحسب كالآتي :

اولا : سرية القيادة و الإطلاق ، ثمانية ضباط زائد قائد الكتيبة ، كل ضابط بمفرده يتم تقييمه بمقياس (من واحد إلى خمسة) ، ثم يؤخذ المتوسط العام للسرية .

ثانيا : سرية النيران ، والمسئولة عن تجهيز و إعادة تعمير الصواريخ ، ثلاثة ضباط ، تقييم كل واحد من خمسة ، ويتم آخذ متوسط الثلاثة .

ثالثا : فصيلة الرادار ... وبها الضابط الرادرجي .. بمفرده .. ، والتقييم من خمسة . أي أن الرادرجي في التقييم .. يعادل بمفرده .. ثلث الكتيبة .

ثم يتم أخذ متوسط الثلاثة مجموعات السابقة . فيكون الناتج هو(تقييم الأداء القتالي) للكتيبة كلها .

وفي حالة وجود ضابط في أجازة أو مهمة أو حجزه بالمستشفي .. يمكن لقادة الكتائب استعارة ضابط من نفس التخصص من كتيبة مجاورة

كانت كتيبتي ، أول كتيبة يجرى لها هذا التقييم ، وحصل عدد من الضباط على خمسة من خمسة ومنهم الرادرجي .. كاتب هذه السطور ، لأنه تمكن من خفض زمن فك المحطة من ثلاث ساعات .... إلى ساعة ونصف .

وقد قرر قادة الكتائب التي كان يجري تقييمها تباعا .. تسريب بعض الضباط .. من ذوي المستوى المتواضع ..!. لأسباب مختلقة .!. واستعارة ضباط من أصحاب المستويات العالية .. من الكتائب المجاورة .. وذلك لتحسين (تقييم الأداء القتالي للكتيبة) .

وفي تقييم ثاني كتيبة .. ذهبت لأحل مكان زميلي (محسن) والذي كان اداؤه .. متواضع .!.

دخل الماجور (رائد) فيلمونكا .. الى دشمة رادار محسن .. فوجدني مكانه .. نظر باستغراب .. وقال ..(جدييه أوفتسيير موهسن) (اين الضابط محسن .. باللغة الروسية ..) .

قلت .. (فنطازية ..) وتعني اجازة باللغة الروسية) .

قال .. (زافترا .. دجورني) .. (هل انت مكانه اليوم).. ؟.، فهززت راسي بما معناه .. نعم .. فهز رأسه ومضـــي ، ولم يمـــكن هناك مفر من أن يعطيني (خمسة من خمسة) ، سوف ترفع متوسط تقييم الكتيبة الثانية ..

وفي تقييم ثالث كتيبة .. تلقيت الأوامر .. مكرها .. بأن اذهب لكي احل مكان زميلي مصطفي ، والذي كان مستواه .. أقل من المتواضع ..

وقفت أدخن أمام دشمة زميلى الضابط مصطفى .. وانأ أكاد انفجر من الغيظ و الاحباط .

وصل الماجور فيلمونكا .. وما أن رآني حتى صاح في غيظ .. (جدييه اوفتسيير موستافا .؟.) (اين الضابط مصطفى) ..

هززت كتفي .. ورفعت يداي ملوحا .. في ضيق .. وقلت (ياني ازنايو) (لا اعلم) ..

ولم هناك مفر من أن يعطيني (خمسة من خمسة) .. مكرها .!. لم يكن ليحلم بها زميلي .. مصطفي ..!.

أخذ يدور حول نفسه في ضيق .. ثم قال فجأة .. (دفاي تشيس) (تلعب شطرنج ..؟!؟) .

يا ربي .. كم اكره هذه اللعبة .. التي لم اكسب فيها .. دور واحد في حياتي ..!.

هه .. لا بأس .. أني أعلم مسبقا أنه سوف يهزمني .. شر هزيمة .. وسوف تظل حديث الضباط السوفييت و .. المصريين لعدة أيام .. أن الماجور فيلمونكا .. هزم الليفتانت سامح .. هزيمة .. ساحقة .. ماحقة .!. في الشطرنج .. ،

معلهش .. كله يهون في سبيل .. (تحسين تقييم الأداء القتالي) .!.

وحتى لا أطيل عليكم .. في المرة الرابعة و الأخيرة .. ذهبت إليه مباشرة في خيمة الضباط السوفييت .. ، وأشرت إليه من بعيد بما معناه .. (أنا هنا اليوم ..أيضا) .!.، ثم أشرت إلى رأسي بما معناه .. (افهم .. بقي .!.) . ولا شك أنه قد فهم ..!!.

****

الرادرجي .. يتذكر ..

طاقم محطة الرادر .. يتغلبون على الصاروخ .. (رد - آي) .. ارض/ جو ..

وينشئون أول سبيل مياه ساخنة .. في مصر المحروسة ..!!.. في بورفؤاد ..

الزمان .. ربيع عام ١٩٧٢ .. والمكان .. الكتبية ٦٥٢ دفاع جوي .. بورفؤاد

السبيل .. مكان لتقديم المياه .. مجانا لكل من يريد .. منذ عدة قرون ، ويقيمه أصحاب الفضل .. ابتغاء مرضاة الله . وهو مبني له طراز معماري خاص .. ويوجد أسفله صهريج كبير .. يملأ بمياه النيل في وقت الفيضان .. أو بواسطة السقاءون .. باقي أيام العام .

كتائب صواريخ الدفاع الجوي .. تقوم بتوليد الطاقة التي تحتاجها لتشغيل المعدات .. بواسطة ماكينات توليد القوى الكهربية .. ويطلق عليها (الديازل) ، بعضها يعمل بالسولار وبعضها يعمل بالبنزين .. وهي عبارة عن محرك احتراق داخلي .. مركب علية مولد (دينامو) لتوليد الكهرباء .. ، وهذا المحرك له شكمان .. ينبعث منه عادم مخلوط الوقود و الهواء .. وهذا العادم له درجة حرارة عالية ..

ولذلك ابتكرت الترسانة الأمريكية .. نوع من الصواريخ ..أرض / جو .. باحث عن الحرارة .. هو .. (رد - آي) (REDEYE) .. وهذا الصاروخ .. يطلق من الطائرات المقاتلة القاذفة .. من مسافة ابعد من مرمى الصواريخ .. فيتوجه نحو البؤرة الحرارية في الكتيبة .. وهي شكمان الديزل .. فيدمر مصدر توليد الكهرباء .. وتتعطل الكتيبة .. وبعدها يمكن مهاجمتها ..والإجهاز عليها .. وتدميرها .. دون التعرض لخطر الصواريخ .. ، وقد زودت الولايات المتحدة إسرائيل بهذه الصواريخ ..

وقد فطنت إدارة التخطيط في سلاح الدفاع الجوي .. إلى ذلك .. فقامت بتزويد الكتائب .. بمجموعة من مواسير الصاج المرنة .. يمكن تركيبها على التوالي .. في شكمان الديزل .. وبطول .. أكثر من عشر

أمتار .. وبذلك تتزحزح البؤرة الحراري .. بمقدار هذه المسافة .. وينخفض تأثير هذا الصاروخ ..

وقد تم تنفيذ ذلك .. ، وقد فكر بعض الجنود .. فقاموا بوضع جردل من الحديد ممتلئا بالمياه .. أمام نهاية هذه الماسورة .. فوجدوا أن المياه قد سخنت .. بعد ربع ساعة .. وأصبحت مياه ساخنة تصلح للاستحمام .. أو غسيل الاوفرولات .. الملوثة بالشحوم و الزيوت .. من عمليات إجراء الصيانة اليومية ..!!.

وبسبب هذا الاكتشاف .. أصبح في إمكان جنود الكتيبة .. الحصول على الماء الساخن .. مجانا .. وبسهولة .. ووصل هذا الاكتشاف .. إلى الوحدات المجاورة .. من جنود البحرية .. والمدفعية المضادة للطيران .. وأصبحت نهاية ماسورة شكمان الديزل .. أول سبيلا مجانيا للمياه الساخنة .. في مصر المحروسة .!. في بورفؤاد ..

وقد اطلق على موقعنا .. زوج من هذه الصواريخ .. يوم السابع من أكتوبر .. ، إلا أن هذان الصاروخان كانا في غاية الفشل .. و الطفاسة .. والدناءة .!. فقد تركا البؤرات الحرارية للديازل .. واتجها نحو بؤرة حرارية أقوي.. هي مطبخ .. أو مكان إعداد الطعام بالكتيبه .. قاصدان .. أواني سلق اللحم .. واليمك .. (كلمة تركية متداوله .. معناها : الطعام أو الطبيخ) .. ولكنهما لم يهنأ بلقمة واحدة .. فقد تعديا المطبخ .. وسور الترسانة البحرية .. وسقطا في القناة ..!.

****

ثقافة عسكرية .
بتشورا .. دفنا .. دسنا .. أسماء أنظمة الصواريخ السوفيتية .. هي أسماء انهار في روسيا ..!.

(الصورة .. الاولى في الاعلى .. نهر بتشورا في غرب روسيا وحوله الدائرة الحمراء - الثانية .. طائر الإوز العراقي - الثالثة .. قاذف يحمل صاروخين بتشورا ..) .

لم تكن دول الغرب .. أمريكا و أوروبا .. برغم أنظمة المخابرات العتيدة عندها .. لم تكن تعرف أسماء أنظمة صواريخ الدفاع الجوي السوفيتية .. لذلك .. أطلقت عليها أسماء .. سام ١- سام ٢ - سام ٣ .. وهكذا ..

والحروف (SAM) .. هي اختصار كلمة .. (**Surface Air Missile**) .. ومعناها .. صاروخ سطح جو .. (وكلمة سطح معناها أنه يمكن إطلاقة من الأرض أو من سفينة عسكرية مثلا) .

في ربيع عام ٧١ .. تسلمت مهمتي .. كضابط رادار .. في احد كتائب الصواريخ .. بتشورا .. في صعيد مصر .. لم أكن قد شاهدت هذه الصواريخ من قبل .. لأني درست في مدرسة الرادار بالإسكندرية .. ولم تتوفر لي الفرصة لمعرفة نظام الصواريخ البتشورا ..

لذلك كنت انتهز الفرصة .. لكي أتعلم المزيد عن هذه الصواريخ ..

وكانت الكتيبة بها طاقم مصري و آخر سوفييتي .. وكان معنا مجموعة من المترجمين المصريين و السوفييت .. ، وذات مساء .. سألت .. ضابط الرادار السوفييتي .. الماجـــــور فيلمونكا .. الذي يعـــمل معي .. عن معنى

كــلمة (بتشورا) .. وكان المترجم السوفييتي .. متخصص في الترجمة من الروسية إلى الانجليزية ..

وكان مستوي المترجم متواضعا مثلي في اللغة الانجليزية ..!. ولذلك كان يستعين بالأصوات..!. و التمثيل .!. والرسم على الرمل .!.

وفي النهاية أمكنني تجميع الآتي .. طائر طويل العنق.!. ويمكنه تغيير اتجاهه أثناء الطيران .. عن طريق تحريك رأسه َ!.

لقد استلهم المهندس السوفييتي العبقري .. الذي اخترع الصورايخ البتشورا .. نظام توجيه الصاروخ .. من طـــائر (الإوز العراقي) .. و أسمه العلمي (التم الأبيض) ..

وهذا الطائر يمكنه تغيير اتجاهه أثناء الطيران .. عن طريق إمالة أو تحريك رأسه .. وهو أول صاروخ في العالم (في زمنه) .. يتم توجيهه باستخدام زعانف صغيرة في مقدمته .. وباقي الصواريخ .. كان يتم توجيهها عن طريق الزعانف الخلفية ..!.

واسترحت لهذا التفسير .. وظللت سنين طويلة .. اعتقد أن (بتشورا) .. هو اسم الطائر باللغة الروسية ..

وفي التسعينات .. قررت أن أوثق هذا الاسم.. من ضمن هواياتي في توثيق الأسماء .. وقد سئلت أصدقائي .. الذين يعرفون اللغة الروسية .. عن أسم هذا الطائر .. فذكروا لي أسماء أخري .. ليس من ضمنها البتشورا .. فتركت هذا الموضوع مؤقتا ..

ولكن بعدها بعدة سنوات .. حدثت لي .. مفاجأة سعيدة .!. كنت أتصفح الأطلس الجغرافي .. فوجدت في شمال روسيا .. نهر اسمه .. نهر بتشورا .. يصب في بحر بارنتس .. وفي الشرق منه .. نهر دفنا الذي يصب في البحر الأبيض الشمالي .. وقد استعنت بأطلس أكبر فاكتشفت أن .. دسنا .. هو نهر آخر صغير .. بالقرب من موسكو .. وأن .. اونجا .. وهو اسم هوائي الرادار الذي يعمل على برج مستقل .. هو اسم بحيرة في روسيا .!.

وقد أفادني احد أصدقائي . العالمين باللغة الروسية . وهو الدكتور ماهر خميس . أن استيرللا .. وهو الاسم السوفييتي للصـــاروخ سام ٧ .. معناه : السهم . . و أن كوادرات .. وهو اسم الصاروخ السوفييتي .. سام ٦ .. معناها .. المربع .. وذلك لان التشكيل القتالي لكتيبة الصواريخ سام ٦ .. يأخذ شكل المربع .. وهكذا تم حل شفرة اسماء الصواريخ السوفيتية .. ارض جو ..!.

****

الصواريخ .. و كيف نشأت التسمية .

في إثناء وجود الحملة الفرنسية في مصر .. بقيادة ساري عسكر نابليون بونابرته .. ، كان الفرنجة الفرنسيس .. يقومون بعمل احتفالات .. في بعض المناسبات مثل .. أوائل الشهور الهجرية .. وعند انتقال الشمس من برج إلى آخر .. .. وكانوا يقومون ببعض الأعمال و البدع .. لكي يبهرون بها .. أبناء المحروسة ..!.

وقد وصف المؤرخ .. عبد الرحمن الجبرتي .. بعض هذه الاحتفالات .. فذكر في كتابه .. ((أنهم كانوا يقيمون .. حراقـــات النفط .. والبـــارود .. والسواريخ .)) ..!.

(وقد كتب .. السواريخ .. بدلا من .. الصواريخ) .!.

و ((السواريخ)) .. هي العاب نارية .. عندما يشعل فتيلها .. تنطلق من الأرض إلى عنان السماء .. وهي (تسررخ)) .!. (أي ينبعث منها صوت مثل الصراخ .!.) .. ثم تنفجر في السماء .. ويتناثر منها .. العشرات من الشهب المضيئة ..!.

وعندما ظهر أختراع (الصواريخ) .. في القرن العشرين .. أطلق عليه أبناء اللغة العربية .. هذا الاسم .. بعد تصحيح الخطأ اللغوي .. الذي وقع فيه عمنا المؤرخ الجبرتي ..!.

****

٨٢٠٢

المطار السري ..!.
قرار استراتيجي .. يتحول إلى .. تعبير شعبي ..
بمعنى .. السر الخطير .. الذي يعرفه الجميع ..!.

بعد العدوان الثلاثي على مصر ، في عام ٦٥ .. والذي قامـــت فيه بريطانـيا و فرنسا و إسرائيل بالهجوم على مصر .. وتدمير مطاراتها الحربية المحدودة .. ، اتخذت القيادة العامة للقوات المسلحة .. قرارا استراتيجيا .. بتوزيع القوات الجوية .. على مجموعة من المطارات .. واختيرت لهذه المطارات .. أراضي تابعة للإصلاح الزراعي .. ، وكان اغلبها.. بعيدا عن الطرق الرئيسة في دلتا مصر ..ومن التعليمات المستديمة .. في القوات المسلحة .. و لجميع الرتب .. عدم ذكر أماكن الوحدات العسكرية .. التي يخدمون فيها بالتفصيل .. وذلك حتى لأقرب الأقارب ..

وكان المقاتلون العاملون بهذه القواعد الجوية .. يستقلون المواصلات العادية .. عند رجوعهم من الأجازات .. مثل أتوبيسات الأقاليم أو سيارات الأجرة بالنفر ..، وينزلون عند اقرب نقطة للقاعدة الجوية .. ويستكملون سيرهم في الطرق الفرعية وسط الحقول للوصول إلى وحداتهم ..

وكثيرا ما كان يحدث .. أن يغفل بعض هؤلاء المقاتلون .. عن المكان المناسب للنزول .. للوصول إلى القاعدة .. فكان كمساري الأتوبيس ..أو سائق الأجرة .. ينبههم إلى ذلك .. بصوت منخفض .. المطار السري .. يا دفعه ..!!.

وهكذا .. وبعد أن كان المطار .. معروفا للقرى و البلاد المجاورة .. أصبح معروفا كذلك لسائقي الأوتوبيسات و سيارات الأجرة .. والركاب .. أيضا ..!.

آما الآن فإن نظام الاقمار الصناعية (جوجل ايرث) ، لم يترك مكانا .. إلا ورصده .. حتى مواقف الميكروباص .!.

****

كتاب نادر من مكتبتي الخاصة .
وعليه إهداء نادر . يؤكد قيم الوفاء في القوات المسلحة .

الكتاب : القوة الرابعة ـ تاريخ الدفاع الجوي المصري .

المؤلف : المشير محمد علي فهمي . مؤسس قوات الدفاع الجوي المصري الحديثة .

المهدى إليه : اللواء محمد نجيب . أول رئيس جمهورية لمصر .

كلمات الإهداء : إلى أستاذي الفاضل اللواء محمد نجيب . مع أطيب تمنياتي .

تاريخ الإهداء ٢٢ / ٤ / ١٩٧٨ .

****

القوة الرابعة

القوة الرابعة
الفريق محمد على فهمى
تاريخ الدفاع الجوى

ذكريات عن صورة تاريخية .. نشرت بالجرائد المصرية .. يوم ٥ يونيو ١٩٧٣ .

أتذكر هذه الصورة جيدا : التقطت يوم ٤ يونيه عام ٧٣ للرئيس أنور السادات في نقطة الكيلو عشرة في بور فؤاد وعلى طريق العريش الساحلي ، ينظر إلى القوات الإسرائيلية والتي تبعد كيلومترات قليلة ، وبجانبه المشير احمد إسماعيل .

في هذا اليوم زار الرئيس وبصحبته المشير احمد إسماعيل و اللواء عمر خالد ، قائد قطاع بورسعيد – بور فؤاد ، زار قطاع بورسعيد وبورفؤاد لرفع معنويات المقاتلين على الجبهة ، وزار الكتيبة ٦٥٢ دفاع جوي المتمركزة في بورفؤاد ، وكنت ضابط الرادار بهذه الكتيبة ، واجتمع معنا داخل دشمة توجيه الصواريخ ، وسأله احد زملائنا وهو النقيب محمد الزنوكي " حنحارب أمتى يا ريس " . فرد " الحرب يا أولادي قادمة اقرب مما تتخيلون " . وكان الرئيس السادات قد أعلن أن عام ٧٢ سوف يكون عام الحسم ، ثم لم يحدث ذلك ، وأعلن أن هذا العام ٢٧ كان عام الضباب ، لينهال الرأي العام عليه بالتقريع و اللوم .

ولكننا كنا نعلم أن تأجيل قرار الحرب كان بسبب عدم اكتمال تجهيز كتائب صواريخ سام ٦ كوادرات ، وبسبب الحاجة إلى مزيد من الطلمبات التوربينية التي استخدمت في فتح الثغرات في خط بارليف لإقامة المعابر .

وقد اكتمل تجهيز كتائب سام ٦ كوادرات بعدها بشهرين ، وكانت الحرب يوم ٦ أكتوبر ٧٣ .

****

الملازم الرادرجي .. يتذكر ..

لحن اغنية .. معانا ريال .. مقتبس من اغنية شعبية .. اوكرانية ..!. (الصورة .. من فيلم دهب .. و الباشا يمنح فيروز .. ريالا .!.) .

الزمان أوائل عام ١٩٧١ ، والمكان صحراء جنوب الصعيد . في ذاك الوقت ، تم تشكيل اول كتائب صواريخ سام ٣ (بتشورا) للدفاع الجوي ، وكانت تتمركز في جنوب الصعيد للتأهل واكتساب الخبرة اللازمة .. لدفعها بعد ذلك .. الى جبهة قناة السويس .. وكانت الكتائب تتشكل من طاقم سوفييتي وطاقم مصري .

وقد صدرت لنا تعليمات من القيادة .. بالعمل على اكتساب ثقة و صداقة الطاقم السوفييتي .. الذي يعمل معنا على هذا السلاح الجديد .

ففي عام ٧٠ .. وفي غارة إسرائيلية .. تمكنت إسرائيل في غارة غادرة .. من الاستيلاء على محطة رادار (ب ١٢) من موقع الزعفرانة .. على البحر الأحمر.. ولقد كبدت هذه الغارة .. الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو .. ثمنا غاليا .. فقد تمكنت إسرائيل من معرفة أسرار جهاز التعارف (كريمني ١) . والذي يميز طائراتنا من طائرات العدو . ،واضطرت روسيا و حلف وارسو إلى الانتقال غالى النظام البديل (كريمني ٢) . ولذلك .. كان السوفييت حذرين جدا .. في إعطائنا .. أسرار هذا النظام .. وكنا نبذل كل الجهد للوقوف على إمكانيات هذا النظام .. حتى يمكننا صيانته و ضبطه .. بعد انتهاء مهمتهم .

وكان دور من زجاجات الكوكا كولا من كانتين الكتيبة .. للطاقم السوفييتي .!. على حساب الملازم الرادرجي .. كفيل بإذابة بعض الجليد .. بيننا وبينهم .. وكان غريبا أن تشاهد الرفاق السوفييت .. يسيرون مترنحين من النشوة .. في صحراء الصعيد ..!. بعد أن تجرعوا .. الكوكا كولا .. ذلك المشروب .. الرأسمالي .. الذي هو من منجزات الرأسمالية .

وكان الروس يقيمون في منطقة منفصلة للإعاشة .. عن الطاقم المصري ..و لديهم مطبخهم الخاص و كذلك الميس الخاص بهم .. وكان لديهم ماكينة سينما ١٦ مللي وكانوا يعرضون كل أسبوع فيلما سوفييتيا للترفيه عن الطاقم السوفييتي .. وذات يوم .. دعانا الطاقم السوفييتي .. لمشاهدة فيلم موسيقى .. قالوا انه جميل.. فذهب الضباط المصريون من باب تلبية الأوامر .!. ومعنا بعض الجنود الخاليين من النوبتجية .. .. وكنا جلوسا على الرمال .. في المنطقة الإدارية الخاصة بهم .. وكان يجلس وسطنا .. المترجم المصري .. مثل .. المفهماتي ..!. يحاول أن يشرح لنا مضمون الفيلم .. وكان بالأبيض و الأسود .. ومن الأربعينات تقريبا ..و كنت أغالب النعاس .. ولكنها الأوامر.!.

وفجأة .. سمعت لحنا مألوفا في الفيلم .. كان لحن أغنية (معانا ريال .. معانا ريال) .. وتردد المصريون قليلا .. ولكن عندما عاد اللحن مرة ثانية .. راح المصريون يتغنون مع اللحن .. بصوت عال .. (معانا ريال .. معانا ريال ..) .. وتردد صوتهم في صحراء نجع حمادي ..!. وصعق السوفييت .. لما يحدث .. وكاد عرض الفيلم أن يتوقف .. ونشبت مجادلة حامية .. بين المترجمين الروس و المترجمين المصريين .. كل منهم يزعم أن اللحن ده بتاعه .. والآخر هو الذى .. لطشه .. ولكن المترجم السوفييتي حسم الأمر بأن هذه

أغنية شعبية اوكرانية .. قديمة .. وقبل الفيلم بسنوات طويلة . ومرت الليلة بسلام ..!. وفي الأيام التالية .. كنت اجلس أمام الدشمة ليلا .. أتجاذب أطراف الحديث أنا و الميجور فيلمونكا و السارجنت فلاديمير بهاماس .. والمترجم .. وبجوارنا .. الراديو بتاعي مفتوح ..ولم نكن نستقبل في هذا المكان إلا محطتين للإذاعة .. هما صوت العرب .. وصوت أمريكا ..!!. و كانت إذاعة صوت أمريكا تذيع أغنية كانت شائعة في ذلك الوقت هي .

those were the days .

للمطربة البريطانية بيتولا كلارك .. فأنتفض السارجنت السوفييتي فلاديمير ٌقائلا .. هذا لحن روسي .. أن الغرب الرأسمالي المتوحش .!. يسرق كل موسيقانا الشعبية .. فحاولت إفهامه عن طريق المترجم .. إنها أغنية غربية مشهورة .. ولكن عبثا ..!. فقد أصر أن اللحن هو لحن أغنية (اتحاد عمال المناجم في جبال الأورال) ..!.
ولا زلت حتى هذا اليوم الذي كتبت فيه هذه المقالة .. لا اعلم .. من السارق .. ومن المسروق .. ولكن السرقة و الاقتباس و اللطش .. ظاهرة عالمية قديمة و متأصلة .!.

وبعد أن نشرت هذه المقالة على صفحتي في الفيس بوك .. أرسل لي احد الأصدقاء .. رابط الأغنية الروسية الشعبية الأصلية .. التي اقتبس الغرب لحنها .. ووضع عليها كلمات الأغنية الانجليزية ..!!!!..وهي موجودة على صفحتي بداخل البوم صور الوول ..

وها أنا أقدم اعتذاري .. إلى زملاء السلاح السوفييت .!. بعد كل هذه السنين

و يالك من ساحر أريب .. يا مارك .. يا ابن زوكربرج ..

فلولا موقعك .. الفيس بوك .. لما تعلمنا الكثير من الأشياء النافعة ..!!..

****

" الأس – بت – تسيه " .. بيشيل الجبل .!.

اختصار جملة (سيستيما – برادميتا– تسيلى) . ومعناها (نظام فصل الأهداف) في اللغة الروسية .

الزمان ربيع عام ١٩٧١ ، والمكان .. جنوب الصعيد .

في اوائل عام ١٩٧١ ، تم تجهيز مجـــموعة من كتائب الصـــواريخ سام ٣ (بتشورا) ، والتي تكمل عمل منظومة الصواريخ بالدفاع الجوي حيث يمكنها التعامل مع الأهداف المنخفضة ، وكانت هذه الوحدات تعمل و تتدرب مع الخبراء السوفييت ليلا ونهارا ، وبعد أن أتمت هذه التشكيلات تدريباتها ، تم عمل مشروع تدريبي ودعي إلى حضوره مجموعة من قادة تشكيلات القوات المسلحة لمشاهدة هذا السلاح الجديد الذي سوف ينضم إلي حائط الصواريخ على جبهة قناة السويس ، وكنت إنا احد ضباط الرادار في هذا التشكيل .

أمضينا أكثر من أربعين ساعة نعمل بدون نوم أو راحة على الإطلاق .. أصبحت فى حالة شديدة من الإجهاد .. هونت لنفسى الأمر .. فهذا آخر زائر للمحطة .. منذ الفجر وبداية المشروع وهيئة التفتيش يسألونني ويمتحنونني .. ويعتصروني اعتصاراً .. ساقي تكاد لا تحملانى .. اشعر أنى قد أصبحت هلامياً يمكن أن أملأ برميلاً إذا ألقيت فيه .

دخل الزائر الأخير .. ذو رتبة عالية .. وكرش كبير يتناسب معها . خمنت إنه من الإداريين وقد جاء لمجرد الفرجة .. لم يقدم نفسه لى بصفته الرسمية .. هه لا بأس .. ظني في محله ..

رحت اكرر له ما كررت طول اليوم عن محطة الرادار وقدراتها وإمكانياتها .. وضح لى إنه ليست لديه خلفية كاملة عنها .. وصلت فى الشرح إلى وحدة الـ (اس – بت – تسيه) ....

فاجأني بالسؤال مبتسماً في خبث .. " يعنى إيه ده .." .. كأنما يريد أن يمتحنني في تخصصي ..

قلت "اختصار جملة (سيستيما – برادميتا– تسيلى) ..

يعنى نظام فصل الأهداف الثابتة عن المتحركة .. فلو أن طائرة طارت في محاذاة الجبل فإن الصدى المنعكس منها لا يمكن تمييزه وسط الصدى المنعكس من الجبل .. وهذا النظام يسمح فقط بظهور الطائرة ويلغى الانعكاس المرتد من الجبل " .

كان يمكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد .. لولا أن طائرة المشروع التي كنا نتابعها اختفت فجأة وهى تنقض داخل منطقة الصدى المنعكس من سلاسل الجبال الشرقية.

انحنى وهو يشير إلى شاشة الرادار "هيه .. فين الطيارة .؟. "

قلت " ورا الجبل يا فندم " .

قال طب شغل الـ "اس – بت – تسيه" .

أدرت المفتاح على وضع أس – بت – تسيه .. أصبحت شاشة الرادار نقية تماماً .. اختفت الانعكاسات المرتدة من الجبل .. لكن لا أثر للطائرة .

قال "محطتك مالها يا حضرة الضابط .. فين الطيارة .." .

كظمت غيظي .. فهو لم يدرك أن الطائرة خلف الجبل .. كان يركز تفكيره على استعراض معلومة يعلمها .. وعلى المنظرة .

كرر فى انتصار وتحد .. "فين الطيارة .. الإس –بت – تسيه .. بيشيل الجبل

قلت : يا فندم .. الاس – بت – تسيه بيشيل بس صورة الجبل من الـ..." .

قال مندفعاً مقاطعاً "الأس بت تسيه .. بيشيل الجبل .. فين الطيارة " .

.. لم أستطع أن أمنع نفسى الخبيثة من أن أقول له متصنعاً الحدة .. "عليا النعمة ما حد يقدر يشيل الجبل .. وهو لسه مرزى مطرحه .. وممكن نطلع من الدشمه .. نبص عليه ..!!." .

قال بحدة وهو مازال غير منتبهاً إلى إنى أدركت جهله وأريد استدراجه إلى خطأ ... "الأس بت تسيه ... بيشيل الجبل" .. وأضاف في عصبية "ما تتكلم كويس يا حضرة الضابط.." .

قلت "أعمل لسيادتك إيه .. سيادتك شايف الطيارة غاطسة .. وقدامك على الخريطة ارتفاعها .. بالارتفاع ده .. وعلى "مسافة خمسة وأربعين كيلو متر .. لازم الطيارة تكون ورا الجبل .. ما تبص سيادتك للخرايط ... دي مش محطوطة هنا ديكور .!." .

.. أدرك هو الفخ الذي استدرجته إليه .. كان جنودي يضحكون خفية في أكمامهم ..

رفست الرقيب الحكمدار في ساقه دون أن يلاحظني الرجل .. أدركت أن الرجل يفكر الآن كيف يخرج من هذا المأزق ..

قال الرجل فجأة "وما تعلمتش تقف انتباه .. وأنت بتكلم رتبة أعلى منك " .

قلت " يا فندم أنا طويل .. ولو فردت طولي .. جايز دماغي تخبط في كابل ولا .. ويف جايد..." .

قال " طب وماتعرفش تتكلم بصوت واطى .. " .

قلت " المحطة دوشه .. وأنا نفسى مش سامعني . !. " .

.. راح يتأملنى من قمة رأسي حتى قدمي .. خمنت أنه يفكر في خطوته التالية للهجوم .

قال فجأة "وشعرك ليه طويل يا حضرة الضابط" .

... هه ... كان يتصورني ساذجاً .. غرا .. لن أفلت من هذا الموقف .

قلت " يا فندم بقالنا أكثر من خمسين يوم مانزلناش اجازات والكتيبة ما فيش فيها حلاق" .

والحقيقة أنى كنت كاذبا ... فقد وصل للكتيبة حلاق منذ أسبوعين .. ولكنني بعد ان رأيت نتائجه المبهرة مع الجنود .. فكرت أن تسليم رقبتي إلى المشنقة .. أهون من تسليم شعري إليه ..!.

قال بنفس الحدة "وفين البياده .. طقم محطة الرادار بتاعتك مش لابس جزم بياده.. ليه .. ؟." .

قلت بهدوء "يا فندم الأوامر عندي أن طقم المحطة يلبس حذاء خفيف" .. كنت متحايلا هذه المرة .. فأنا الذى أصدرت لجنودى هذه الأوامر .

قال "وأفرولك وسخ .. ومليان شحم وزيت .. بقى بالذمة ده منظر ظابط .!."

التفت بالرغم منى إلى جنودى .. لم يكونوا بأحسن حال منى .

قلت "يا فندم الكتيبة التعيين بتاعها .. تلات مكعبات ميه كل يومين .. ده إحنا مش لاقيين ميه نشربها .. مش تقوللي نستحمى ونغسل .. وننشى .. ونكوى الأفرولات".

.. كنت صادقا هذه المرة .. ففعلا كان لدينا نقص فى المياه في هذا المكان .

نظرت إليه مليا .. كان يفكر هو الآخر .. لابد أنه يفكر في خطة للتراجع فقد راح يربت على كرشه الضخم في ترقب ...

قال في صوت منخفض " طب ولو ما عندكش عسكرية يا حضرة الملازم ... طب قطر الذوق ما عداش على بلدكم .!." .

قلت بنفس الهدوء "يا فندم بقالنا يومين على رجلينا بنشتغل .. لا نمنا .. ولا ارتحنا .. ولا أكلنا .. أنا وطقم المحطة بتاعتي .. من ساعة ما ابتدا المشروع ..

.. صمت هو ونكس رأسه إلى الأرض ...

اجتاحني فجأة شعور بالرثاء لنفسي .. ولجنودي .. هتفت فى وجهه بحنق شديد "لأ ... والأدهى من كل ده ... إن كل من هب .. ودب .. جاي متلمع ومتحفلط .. يشكل .. ويتمنظر علينا .." .

.. فجأة ظهرت طائرة الاختبار على شاشة الرادار .. كانت قد غطست لمدة دقيقة خلف سلاسل الجبال الشرقية ثم استدارت عائدة مرتفعة فراح الجنود الرصدة والمبلغون يوقعون إحداثيات الطائرة على الخرائط أحسست بالثقة في محطتي وفى جنودي .. كانت البلاغات تتوالى بكل دقة عبر القنوات السلكية واللاسلكية .

كان الجنود مدركين لمهامهم جيداً ... ملأني إحساس بالفخر والنشوة كنت انتظر منهم هذا ... ومازلت انتظر منهم الكثير يوم المعركة الفاصلة .

ركزت عيني في عين الرجل .. رفعت يداي إلى أعلى مستسلماً .. كأني أقول له " أتفرج على طقم الرادار بتاعى شوف شغالين إزاي" .

.. تفادى النظرة التي صوبتها إلى عينه ...

هز رأسه .. ثم قال فجأة " جتك نيلة فيك .. وفى اللي حط النجمة دي على كتفك ..!."

تخشبت فى مكاني ... لم أتوقع هذا منه ... قررت عدم الرد...لابد أن هذا الرجل من مخلفات حرب ١٩٦٧... فأمثاله هم سبب نكسة ١٩٦٧ ..

استدار وخرج وهو يصفق باب المحطة فى عنف.

انتظرت بضع ثوانى حتى قدرت أنه قد خرج تماما من الدشمة الخراسانية التي تقبع تحتها المحطة وصحت بأعلى صوتي .. "عليا النعمة ...

ما فيه لغاية دلوقت حد قدر يخترع سيستم .. تجيب المفتاح كده يشيل الجبل .. تجيبه كدهه .. يرجعه تاني .. والجبل أهو مرزى هناك .." .

وكنت متأكداً أنه لن يسمعني .!.

****

من الذكريات .. لقطة من جنوب الصعيد .. ويعافيك يا خال ..

المكان .. جنوب الصعيد .. ـ والزمان .. ربيع عام ١٩٧١ .

انتهينا من معاينة موقع محطة الرادار .. كاد الموقع .. أن يكون مثالياً – قد أحسن الخبراء انتقاء المكان فهو يغطى الفجوة الرادارية من جهة الجنوب الشرقي للوادي.. . و لن تتمكن الفانتوم .. أو الذراع الطويلة لإسرائيل .. من الاختراق من هذا الجانب ... إذا أحسن اختيار الرادار المناسب والضابط المناسب .

لبثنا بعض الوقت في انتظار القيادات والرتب الأعلى .. ربما قد طرأ طارئ ما .. عطل بالسيارة .. إن لم يحترس السائق فقد يمتلأ الراديياتير بالتراب الخفيف الناعم وتسخن العربة .. أو قد يكون الضباط الكبار في لقاء ما للتنسيق والإعداد ... و بغير اتفاق قررنا الخروج من الموقع للتمشية لحين وصولهم .

كنا أربعة نرتدي الزى الميرى الكاكي .

خرجنا من الموقع و اقتربنا من زراعات القصب الكثيفة .. وظللنا نسير كان ثمة مصرف يشق حديثا .. و قد تجمع أسفله و في داخله العشرات من عمال التراحيل يعملون على تعميقه ... كانوا يغنون أغاني يفوح منها الحزن .. ما أن اقتربنا منهم حتى توجس الجميع خفية منا .. لعلها الكراهية الموروثة للسلطة .. وللون الكاكي .

خفتت أصوات الغناء ... انضموا إلى بعضهم البعض متلاصقين في كتل منحنية كأنما يتفادون رؤيتنا ... ويتمنون أن نتجاوزهم .

أصبحنا في منتصف المجموعة تقريبا .. والكل منكمش .. وهم خافضي الرؤوس .. كان أكبرنا رتبه وحجما ضابط من سوهاج صاح في العمال بكل الشموخ والمودة وبلهجة أهل الصعيد ... "الله يعطيكم العافية" .

تنفس العمال الصعداء .. ابتعدوا عن بعضهم البعض .. ارتفعت رؤوسهم .. صاحوا جميعا في نفس واحد بدون ترتيب مسبق ... "ويعافيك يا خال" .

نظرنا جميعا إلى زميلنا .. ابتسمنا .. عاودنا السير .. وعندما ابتعدنا ... تناهى إلى أسماعنا أغانيهم الحزينة .. مرة أخرى .

****

الضابط الرادرجي .. يتذكر ..

بداية تشكل الوعي .. بالأسامي .. والأماكن ..

الزمان ..شتاء عام ١٩٧٠ .. والمكان .. مدرسة الرادار .. بالمعمورة .. (الصورة .. محطة الرمل في ١٩٧٠ .. بداية نزهة الرادرجي) .

في ذلك الوقت .. كنت أنا و زملائي .. نأخذ فرقة تأهيلية .. في الرادار .. (ب ١٥).. والذي تقرر ضمه إلي منظومة الدفاع الجوي .. ضمن تشكيلات كتائب الصواريخ بتشورا (سام ٣) .ولم نكن قد اكملنا الدورة الأساسية لكلية الضباط الاحتياط .. ولكن تقرر سحب مهندسوا الإلكترونيات .. لتشكيل كتائب البتشورا (سام ٣) . من كلية الضباط الاحتياط و الاكتفاء بما سبق أن تعلموه من الانضباط العسكري ..

كانت الدروس شاقة .. دورة تدريبية مكثفة .. محاضرات وتدريب بالنهار .. وفي المساء و الليل .. نحفظ كتالوجات المحطة .. صم .. وفي مقابل ذلك .. تم إعفاؤنا من باقي الطوابير العسكرية ..

كانت الراحة الوحيدة المتاحة .. هي تصريح فسحة .. لنصف يوم.. وكنت اقضيه في التفسح في مدينة الأسكندرية ..استقل قطار المعمورة .. إلي نهايته .. وفي محطة الرمل ..أتناول سندوتشين فوول .!. من محمد احمد .. ثم استقل أي ترام أجده إمامي .. إلى نهايته .. بنصف أجرة .!. ثم العودة به .. ثانية ..

ولم تكن الميزانية .. تسمح بأكثر من ذلك في هذا الوقت ..!.

والزي العسكري .. يضع قيودا .. على الحركة .. ولا سيما .. زي كلية ضباط الاحتياط .. في ذلك الوقت .. لذلك كنت اكبس الكاب على راسي إلى الأسفل .. حتى لا أرى أحدا .. ولا يراني احد .. وأكتفي بالفرجة على شوارع الإسكندرية .. مثل أي قروي .. شاهد الإسكندرية .. لأول مره .. وشرب قزازة كازوزه .. اسباتس .. فأنحرف ..!!.

كنت في رحلاتي هذه أشاهد أحياء .. لها أسماء غريبه ..مثل ..الأزاريطة .. والأنفوشي ..

وكان أحد زملائي من أبناء الإسكندرية .. فسألته .. يا عادل يا أبو تادرس .. انتو جبتو أسامي الازاريطه والأنفوشي ..منين .؟!.

فاجاب .. من نفس التوكيل اللي انتم يا ولاد مصر ..جبتو منه .. أسامي .. الوايلي و القرافة .!. ، وقد افحمني هذا الرد ..

وبعد سنوات طويلة من انتهاء خدمتي العسكرية .. قررت أن ابحث عن أصول هذه الأسمـــاء .. فأكتشفت أن .. الأزاريطة .. أصـــــلها ايطالي (لازاريتو) . (ولها مقالة خاصة على صفحتي) . كما اكتشفت أصل كلمة الأنفـــــوشي .. (و سوف اشرحها لاحقا) .. و اكتشفت ايضا أن الوايلي هو محل نزول قبيلة بني وائل .. حينما وفدت من شبه الجـــــزيرة العربية .. وكان اسم هذا الحي (الوائلية) ثم تحرف الى الوايلي .. واكتشفت اسم القرافة (مشروح ايضا على صفحتي) .

وباحبك يا إسكندرية ..!!.

VICTORIA
2
601

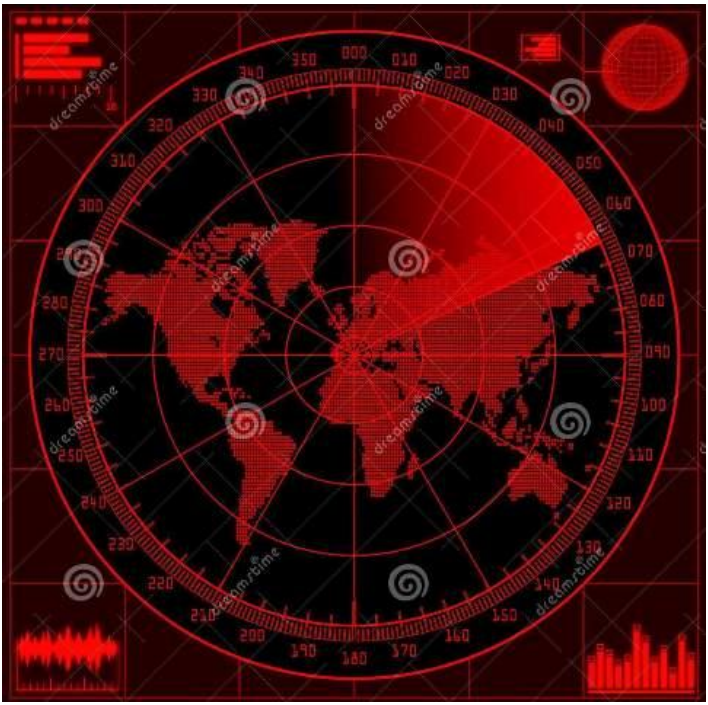
000
010
020
030
040
050
060
070
080
090
100
110
120
130
140
150
160
170
180
190
200
210
220
230
240
250
260
270
280
290
300
310
320
330
340
350

تجهيز صواريخ .. السام ٢ .. والسام ٣ .!.
في اللواء ٩٨ دفاع جوي ... في الأعوام ٧٢ و ٧٣ ..
من مسئولية .. ((الأنبا اثاناسيوس .. مطران .. بني سويف)) ..!!.
(حكاية حقيقية .. لكن واقعية .. وحدثت بالفعل) .!.

(المطران .. عند إخوتنا الأقباط .. هو الرئيس الروحي .. لمنطقة .. أو محافظة محددة .. ويشترط فيمن يعين في هذا المنصب .. أن يكون زاهدا .. في كافة أمور الحياة .. ومتفرغا .. للعناية الروحية .. لإخوتنا طائفة الأقباط) في أوائل عام ٧٢ . تم تشكيل اللواء ٩٨ دفاع جوي .. للدفاع عن مدينة و ميناء بورسعيد .. بقيادة اللواء.. كمال منير الجبالي .. (وقد خلفه .. العميد فيليب نصيف زخاري) . وقد تم اختيار .. أربعة كتائب .. من خيرة كتائب الدفاع الجوي .. لهذا التشكيل .. لأن نطاق اغلب كتائب الدفاع الجوي .. على الجبهة .. يتداخل مع بعضه .. وتتولى التغطية و الحماية من الغارات الجوية .. مع بعضها البعض .. ماعدا .. هذا التشكيل .. لوجود بحيرة المنزلة .. عائقا .. أمام وجود تشكيلات دفاع جوي .. في هذه المنطقة .. وأول تشكيلات كتائب الدفاع الجوي .. كانت تبدأ من خط مدينة القنطرة .. ولهذا فإن هذا التشكيل .. يدافع عن بورسعيد .. ويدافع عن نفسه .. في نفس الوقت .. وقد خاض هذا التشكيل .. اشد معارك الدفاع الجوي ضراوة .. في التاريخ العسكري .. وقد شرحها القائد العظيم .. المشير محمد على فهمي .. في كتابه .. القوة الرابعة.

وأي تشكيل دفاع جوي .. يتشكل من عدد من الكتائب المقاتلة (أربعة في الغالب) .. زائد كتيبة.. تسمي .. (الكتيبة الفنية).. وهي المسئولة عن إمداد الكتائب المقاتلة .. بالصواريخ .. و تحتفظ لديها

بمخزون الصواريخ .. بدلا من الصواريخ التي أطلقت .. في المعارك .. وكل كتيبة صواريخ .. لديها عدد ثمانية من الصواريخ .. محملة على القواذف .. وعدد آخر محمل على السيارات ناقلات الصواريخ .. وعند حدوث الاشتباك الجوي .. و إطلاق الصواريخ .. يتوجه سائق ناقلة الصواريخ النوبتجي إلى القاذف الفارغ .. ويتولى طاقم التعمير .. تحميل الصواريخ .. من الناقلة .. إلى القاذف .. ثم يتجه سائق السيارة ناقلة الصواريخ .. إلى الكتيبة الفنية .. لتحميل زوج آخر من الصواريخ . ويقوم .. ضابط الكتيبة الفنية .. بإخراج الصواريخ من المخزن الآمن .. وضبطها .. على الموجة الخاصة بالكتيبة .. لأن لكل كتيبة .. موجة خاصة .. لترددات توجيه الصواريخ .. حتى لا تتداخل موجات توجيه الصواريخ للكتائب مع بعضها ..!. ثم يقوم بتحميلها على السيارات الناقلة .. وتعود إلى وحداتها .. لتكون جاهز للقتال في اى لحظة .. وضابط الكتيبة الفنية في ذلك الوقت .. كان الملازم أول .. مجدي إميل مينا .. وقد كان زميلي في مدرسة مصر الجديدة الثانوية .. وكلية الهندسة جامعة عين شمس .. وقد سبقني في التخرج .. عام ٦٩ .. من قسم الميكانيكا .. وقد كان ضابطا .. ومهندسا .. على خلق .. وإخلاص .. نادرين .. يضرب بهما المثل .. وربما احكي بقية قصته .. في مقالة آخرى .. وبعد ذلك بسنوات .. وفي احــدي الجلسات التي جمعت الأصدقاء و المعارف و زملاء الدراسة .. أخذنا نسأل بعضنا البعض .. عن مصير .. زملاء رحلة الحياة .. وقد سئلت الشلة .. عمن يعرف شيئا .. عن زميلنا .. الملازم أول المهندس .. مجدي إميل مينا .. فأجابني الصديق الدكتور منيع داوود .. انه قد اعتزل الحياة الاجتماعية.. و أصبح راهبا .. وقرر اتخاذ سلك الرهبنة .. طريقا لباقي حياته .. وانه الآن ... ((الأنبا اثاناسيوس مطران بني سويف)) ..!!. ومنذ ذلك

الوقـــــت .. وحتى الآن .. عندما يطـــلب مني الشباب من العائلة و الأصدقاء .. أن أقص عليهم .. حكايات بعض معارك أكتوبر .. وعندما أصل إلى فقرة إطلاق الصواريخ .. أجدني أقول .. رغما عني .. " وبعد ما نضرب الصواريخ على الفانتوم .. يروح سواق نبطشي ناقلة الصواريخ .. إلى القاذف الفارغ .. لإعادة تحميل الصواريخ .. ويروح بعد كده .. بالعربية الفاضيه .. يحمل صاروخين بدالهم .. من عند .. (الأنبـــــا اثاناســيوس مطران بني ســـويف) ..!!.. " .

****

الضابط الرادرجي .. يتعلم معنى كلمة .. (هلفط) .!.
من العريف سائق .. محمد السيد .!.
فقرة في ذكر أفضال أولاد البلد السائقين ..!. على أولاد البلد .. المتعلمين..!.

الزمان .. ربيع عام ٧٣ .. والمكان .. عزبة البرج في دمياط .. خلال رحـــــــلاتي الطويلة . أثناء خدمتي العسكرية .. من التحركات و المأموريات و التنقلات .. كنت احرص على تجاذب أطراف الحديث .. أو .. الدردشة .. مع السائقين .. و في أوائل خدمتي العسكرية .. تلقيت نصيحة من رئيس العمليات في كتيبتي .. بأنه يستحسن الدردشة مع السائق .. حتى لا ينعس او يغفو .. في الرحلات الطويلة .. وقد تعلمت الكثير .. من أمور الحياة من هؤلاء السائقين .!. وبعضهم كان يعتبر موسوعة حية .. لأمور الحياة .. في ذلك العصر .!. فهم يعرفون .. مواعيد الحرث و الزرع و الحصاد.. و المواسم و الموالد .. و أسماء القرى و البلد و النجوع .. بالإضافة إلى أنهم موسوعة في ميكانيكا السيارات .!. وقد أهديت كتابي (معجم فرج للعامية المصرية) ..إلى هؤلاء السائقين .. اعترافا بفضلهم في تشكيل وجداني .. في تلك المرحلة من العمر .!. في إحدى المأموريات .. كان معي العريف سائق .. محمد السيد .. وفي عزبة البرج .. بجوار فنار دمياط القديم .. كان الطريق مزدحما في وقت خروج المدارس .. وكان على يسارنا .. مساحة منخفضة من الأرض .. تصل إلى حرف النيل .. وفيها ورشة لصناعة المراكب و القوارب .. وكان هناك .. صانع احد القوارب الفردية .. يقوم بطلائه . بالزفت أو القار .. كان بجواره .. برميل من الزفت .. وقد أشعل تحته بعض الأخشاب .. حتى يقلل من لزوجته .. وكان يغمس فرشاة طويلة .. في برميل الزفت .. ثم يهرع

إلى القارب .. ليدهن قاعه .. والظاهر أنها كانت .. عملية شاقة .. بسبب لزوجة الزفت .. وكان الزفت يتناثر عليه .. وعلى المكان حوله ..!.
قال العريف السائق .. محمد السيد .. ده .. ((بيهلفط)) ..!. يا افندم .!.
قلت .. يعنى أيه يهلفط .. يا محمد يا سيد ..؟!.
قال .. يعني يدهن قعر المركب .. بالزفت .. لا مؤاخذة ..!.
قلت .. و العملية دي .. اسمها..(الهلفطة)..!.
قال .. ايوه يا افندم .. و الصنايعـــــــي اللي بيعمل العملية دي .. اسمــه .. (الألفطي).!. هذه الواقعة .. تحديدا .. وغيرها .. جعلتني أدرك أن هناك الكثير من التعبيرات الشعبية المصرية .. الخاصة ببعض فئات المجتمع المصري .. تعتبر غير مفهومة .. بالنسبة لمن هم خارج هذا المجتمع .. وقد قررت أن أقوم بحفظ هذه التعبيرات في ذهني .. لعلني أتفهم مدلولها .. في يوم من الأيام .. وعندما تجمع عندي .. مع مرور الأيام .. المئات .. بل الآلاف .. من هذه التعبيرات .. قررت عمل معجم لها .. هو .. (معجم فرج للعامية المصرية) .. ولكني لم أتمكن من نشر إلا جزء واحد فقط من هذا المعجم .. وعندما تمكنت من تجميع مكتبة خاصة من المعاجم العربية و الأجنبية .. كانت (هلفطة) .. من أوائل الكلمات التي بدأت في البحث عنها .. ولم أجدها بالطبع .. ولكني وجدت كلمات أخرى .. هي : (جلفط) .. و (جلفط السفينة : .. سد ما بين الواحها .. ودهنها بالقار) .!. وكلمة أخرى .. (قلف السفينة : أعدها وسد خلالها بالليف و القار) ..!. إذن .. كلمة (هلفط) .. مشتقة و محرفة من المصدران (قلف و جلفط) .. وفي العامية المصرية .. تقال كلمة (هلفط) .. لوصف من يتحدث بكلام غير لائق .. أو غير مناسب .. أو بذيء ..!. كأنما يتناثر من فمه القار أو الزفت .. وهو يتحدث .. ويالها من بلاغة شعبية .. تفوق خيال .. عتاة الأدباء والكتاب و

المؤلفين ..!. و مما يثير الدهشة أيضا .. أن هذه الكلمة .. موجودة في بعض لغات دول البحر المتوسط .. ولكن ينطق مختلف قليلا .. مع الحفاظ على نفس المعنى .. وهو دهان السفن بالقار ..

وكل الشكر للعريف سائق .. محمد السيد .. زميل السلاح .. الذي قادني إلى أول الطريق .. لمعرفة التعبيرات الشعبية .. في العامية المصرية . و ..... يعيش أهل بلدي .. يعيش .. يعيش .. يعيش ..!.

****

المؤلف .

نقيب مهندس سامح فرج .

مهندس الكترونيات . تخرج من كلية الهندسة جامعة عين شمس في ١٩٧٠ .

التحق بخدمة القوات المسلحة في سبتمبر من نفس العام . الدفعة ٢٨ ضباط احتياط .

من الجيل الأول الذي عمل على محطات الرادار . العاملة مع كتائب البتشورا (سام ٣) .

ضابط الرادار بالكتيبة ٦٥٢ صواريخ بتشورا . والتابعة للواء ٩٨ دفاع جوي . والمكلف بحماية قطاع بورسعيد و بورفؤاد . وقد خاض هذا التشكيل .. اشد المعارك ضراوة .. في حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وقد أشاد بها .. المشير محمد علي فهمي . قائد قوات الدفاع الجوي .. في كتابه .. (القوة الرابعة) .

حافظ على كفاءة محطته . منذ أن تسلمها . عام ٧١ . وحتى نهاية خدمته العسكرية في نهاية عام ١٩٧٥ . وكانت من ركائز التغطية الرادارية في سلاح الدفاع الجوي .

كتب اخرى للمؤلف :

معجم فرج للعامية المصرية . و التعبيرات الشـــــعبية . للصـــناع و الحرفيين المصريين (في النصف الثاني من القرن العشرين) .

(الجزء الأول) .

الطبعة الأولى ٢٠٠٤ . (من إصدار المؤلف) . (نفذت) .

الطبعة الثانية ٢٠٠٦ . من إصـــدار الهيئة المصرية العامة للكتاب . (نفذت) .

ويمكن حاليا إنزال نسخ مجانية مصورة من الكتاب . من بعض مواقع مشاركة الكتب المجانية .

معجم فرج في أسماء الأسد والإبل والخيل والغنم (مختارة من المعاجم العربية) .

(طبعة محدودة من إصدار المؤلف . ٢٠٠٧) . نفذت .

معجم فرج في أسماء الألوان حسب التسميات المصرية و العالمية

(طبعة تجريبية محدودة من إصدار المؤلف ٢٠١٠) . تحتوي علي المادة العلمية وبدون الصور و الألوان . نفذت .

وقد اعتذر عن نشر الكتاب عدد من دور النشر . بدعوي ارتفاع تكلفته و عدم القدرة على تسويقه .!.

****